صراع الأمراء على السلطة في عصر المماليك الجراكسة: سودون طاز نموذجاً

أ.د.م. هويدا سيد على محمد

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة حلوان– مصر

hoydasaid2@gmail.com

الملخص

إن المماليك الذين جلبوا إلى مصر كرقيق تحولوا تدريجياً حتى أصبح أسمهم علماً على الدولة في مصر طوال فترة تزيد عن القرنين والنصف من الزمان ولكن هل كان كل من يأتي لمصر أو يجلب من المماليك ينال حظه حتى يصل للحكم؟

لقد اتفقت المصادر على أن تربية المماليك كانت واحدة للجميع، بينما اختلفوا في الفرصة التي سنحت لكل منهم فانقسموا لثلاثة أقسام، القسم الأول هم المماليك الذين لم ينالوا حظاً وافراً ولم تسمح لهم الظروف بالظهور أو أنهم ماتوا أثناء الصراعات بين المماليك الكبار. والقسم الثاني هم المماليك الذين استطاعوا التدرج في المناصب حتى وصلوا للحكم. والقسم الثالث هم المماليك الذين استطاعوا التدرج في المناصب لكنهم لم يحكموا مصر علناً وإنما كان لهم دور مؤثر جداً في سير أحداث الدولة. ومن هؤلاء المماليك هو الأمير سودون بن عبد الله بن على باك الظاهرى والمعروف بسودون طاز.

كان سودون طاز أحد مماليك الظاهر بيبرس وظل يتدرج في الوظائف في عهده وعهد ابنه السلطان الناصر فرج بن برقوق حتى وصل لرتبة مقدم ألف ودواداراً كبيراً في عهده، كما أصبح أمير أخور ومسيطراً على الإسطبلات السلطانية ومن هنا أصبح لهذا الأمير يداً في التحكم في أمور الدولة حتى لو من وراء الستار وأصبح محركاً للأحداث السياسية حتى وفاته عام 806هـ / 1403 م.

الكلمات المفتاحية: المماليك، صراع الأمراء، الجراكسة، سودون طاز.

Journal of Medieval and Islamic History

Vol. 14 (2021), 249-290. P. ISSN 2090-2883 & E. ISSN 2735-5772
https://jmih.journals.ekb.eg

Abstract

The Conflict of Princes for Power in the Era of the Circassian Mamluks:

Soudon Ṭāz as an Example

Dr. Houyda Sayed Ali

Faculty of Arts- Helwan university

hoydasaid2@gmail.com

The Mamluks who were brought to Egypt as slaves transformed their name became a name of Egypt for a period more than two and a half centuries. The historian agreed that the upbringing of the Mamluks was the same for all, while they differed in the opportunity given to each of them, and they were divided into three categories.

The first category is the Mamluks who did not have much luck, and the circumstances did not allow them to appear or who died during the conflicts between the great Mamluks. The second category is the Mamluks who were able to rise in high positions until they reached power. The third category is the Mamluks who were able to rise in high positions, but they did not rule Egypt, but had a very influential role in the political events. Among these Mamluks is Prince Soudon ibn ʿAbdullāh ibn ʿAlī Bak al-Ẓāhirī, known as Soudon Ṭāz.

Soudon Ṭaz was one of the Mamluks of al-Ẓāhir Baybars, and he continued to rise in positions during his reign and during the reign of his son, Sultan al-Nāsir Faraj ibn Barḳūḳ, until he reached the rank of colonel a thousand and a great *dowadār* during his reign. If from behind the curtain and became control of the political events until his death in 806 AH/ 1403AD.

Keywords: Mamluks, Soudon Ṭāz, Circassian Mamluks, Medieval Egypt

المقدمة:

المماليك مصطلح فرض نفسه على تاريخ مصر والمنطقة العربية طوال فترة تزيد على ثلاثة قرون من الزمان. لاسيما بعد أن نجح أولئك المجلوبون عبيداً في طفولتهم في بناء دولة إقليمية عظمي حكمت مصر والشام والحجاز بشكل مباشر، كما فرضت نفوذها السياسي وقيادتها للمنطقة العربية.[1]

[1] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2014، ص 153.

فالمماليك هم الرقيق الأبيض، الذين توافدوا على بلاد العالم الإسلامي منذ العصر العباسي الأول، وكانوا في معظمهم يجلبون من منطقة التركستان الروسية، في البلاد التي عرفها المسلمون باسم بلاد ما وراء النهر، وكانت هذه البلاد سوقاً لتجارة الرقيق الأبيض.[1]

وقد استكثر منهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (637 – 647 هـ / 1240 – 1249م) من مشتري المماليك الأتراك وهو أول من جلبهم إلى مصر.[2] ويعتبر هو المسئول عن ازدياد نفوذ المماليك على النحو الذي أدي إلى سيطرتهم على مقاليد الحكم في خضم التطورات التي أعقبت وفاته.[3]

وأعطي السلطان الصالح نجم الدين أيوب هذه الأهمية للمماليك لأنه وصل للحكم عن طريق مساعدتهم له بالإضافة إلى أن هؤلاء المماليك قاموا بدور كبير في محاربة الصليبيين الذين هاجموا مصر والشام؛[4] ولذلك مكن لهم الصالح نجم الدين أيوب الأسباب وفتح أمامهم الأبواب فمنهم من يصير أميراً ومنهم من يصير سلطاناً.[5] فكانت نفس المملوك تطمع إلى السلطة وهو لا يزال في الطريق إلى مصر وهي فكرة صادقة عن الآمال والأماني التي تدور في نفس المملوك وهو قادم في طريقه إلى مصر.[6] فقد استقر الحكم للمماليك البحرية تماماً في مصر والشام بعد فترة من الاضطرابات الأولي التي أنهاها السلطان الظاهر بيبرس (659 – 676 هـ / 1260 – 1277 م) بتثبيت أوتاد الدولة.[7]

وبمجيء السلطان المنصور قلاوون (678 هـ / 1279 م) أراد أن يكون فرقة جديدة من المماليك يعتمد عليها ضد منافسيه من كبار الأمراء، وتكون سندًا وعوناً.[8] لأولاده وذريته في

---

[1] الهام الدجاني، "السلطان الظاهر برقوق وتأسيس دولة المماليك الجراكسة في مصر"، مجلة التاريخ والمستقبل، (يناير2007)، ص 269.

[2] ابن إياس (محمد بن إياس الحنفي المصري (ت 930 هـ / 1523 م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، تحقيق، محمد مصطفي، ط 1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1975، ص 269.

[3] ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 227.

[4] النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: 733 هـ / 1333 م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29، تحقيق، نجيب مصطفي فواز، وحكمت كشلي فواز، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص 218 – 220؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 278 – 279. انظر أيضا: الهام الدجاني، السلطان الظاهر برقوق، ص 270.

[5] ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 289 .

[6] أنور زقلمة، المماليك في مصر، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995، ص 23.

[7] سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة، القاهرة: عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2002، ص 37.

[8] D. Nicolle, *The Mamluks,1250 – 1517,* London,1993, 15.

الاحتفاظ بالعرش ولتحقيق هذا الغرض رأي السلطان قلاوون أن تكون فرقته الجديدة من المماليك من جنس غير الأجناس التي انتمى إليها مماليك عصره. فأعرض عن شراء الأتراك والتركمان،[1] واختار أن ينشئ فرقة مملوكية من الجراكسة.[2]

وسار أبناء قلاوون على سياسته في الاهتمام بالمماليك الجراكسة، وكان طبيعياً أن تزداد مكانتهم بازدياد اعتماد السلاطين من ذرية قلاوون عليهم.[3] ولذلك نجد بقدر ما يكون السلطان شديد البأس كثير المماليك بقدر ما يفرض سيطرته على الأمراء ويلجم طوائف المماليك الأخرى. ومن أجل ذلك حرص السلاطين على الإكثار دائماً من شراء المماليك الصغار وتربيتهم ليصبحوا في المستقبل عدتهم وأملهم في البقاء والاستمرار.[4]

وإذا أردنا أن نختار صفة شاملة لعصر المماليك عامة، فلن نجد أبرز من صفة العصبية، فعصر المماليك هو العصر التي تجلت فيه العصبيات بأوضح صورها. فلكل سلطان عصبيته من المماليك السلطانية ولكل أمير عصبيته من المماليك الذين ارتبطوا به ودانوا له، وبقدر ما تقوي عصبية السلطان وكثرة عدد مماليكه بقدر ما يستطيع الصمود في وجه منافسات الأمراء ومؤامراتهم، وكذلك بقدر ما تقوي عصبية الأمير بقدر ما يتمكن من التفوق على باقي الأمراء الآخرين وانتزاع السلطة من السلطان الحاكم.

---

[1] محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2004، ص 183.

[2] الجراكسة: كان موطنهم الأصلي على البحر الأسود من جهة الشمال الشرقي وتشكل أرضهم الجزء الشمالي الغربي من بلاد القفجاق وبين البحر الأسود وبحر الخزر، وغدت تلك الجهات آنذاك مسرحاً للصراع بين مغول فارس (الدولة الإليخانية) ومغول القفجاق(القبيلة الذهبية)، وهذا الصراع جعل أعدادا من أبناء الجراكسة تدخل سوق الرقيق وتنقل إلى مصر فاشتري السلطان المنصور قلاوون أعداداً منهم ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده، وقد أطلق على هؤلاء المماليك الجدد أسم البرجية نسبة إلى القلعة التي وضعوا فيها الجراكسة نسبة إلى أصولهم، انظر: النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 268؛ ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد ايدمر العلائي (ت 809 هـ / 1409 م)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، 1982، ، ص 299، هـ3؛ ابن زنبل(ت 960هـ)، آخرة المماليك، تحقيق، عبد المنعم عامر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 306.

[3] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 293.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648 – 923 هـ / 1250 –1517م)، القاهرة، دار النفائس،1997، ص 325. انظر أيضا:

A. Levanoni, "The Mamluk Conception of the Sultanate،" *International Journal of Middle East Studies*، 26/ 3(1994): 37.

تمهيد:

وكانت أقوي الروابط التي تجمع بين المماليك هي رابطة الأستاذية[1] التي تربط الأستاذ (أي السيد أو الأمير) بمماليكه ورابطة الخشداشية (الخجداشية).[2] وهي رابطة الزمالة التي تجمع بين المماليك في طائفة واحدة.[3] ولقد بدأت رابطة الخشداشية تظهر بقوة على مسرح الأحداث منذ عصر السلطان الصالح نجم الدين أيوب وذلك عندما قتل توران شاه حيث يذكر لنا المؤرخ أبو

---

[1] الأستاذية: كلمة ليست عربية وفى الفارسية أستاذ معناها معلم أو عالم قدير في العلم أو الفن وعند الأيوبيين أطلق لقب أستاذ على من كان يشترى العبد المملوك ويتعهد بالتربية والتعليم أن يبلغ الرجال ثم يعتقه. انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1996، ص 27. وكما استعملت عند المماليك على من يشترى المملوك ويربيه ثم يعتقه عند الكبر وتعتبر رابطة الأستاذية أقوى رابطة بين المملوك وأستاذه، أنظر أيضا: محمد أحمد دهان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، 1990، ص 14.

[2] الخشداشية (الخجداشية): جاءت كلمة خشداشية من لفظ خشداش وهو لفظ فارسي وقد دخلت اللغة التركية بمعني الرفيق أو الزميل في الخدمة ويطلق على هذه الزمالة لفظ خشداشية وهي مكونة من مقطعين " خوش " " Hos " وتعني طيب، جميل، لطيف و " داش " " Das " وهي لاحقة تركية تفيد الملازمة للشيء ويكون المعني المقصود الملازمة أو الصحبة الجميلة أو الزمالة الوثيقة.انظر: عبد الله عبد الحافظ، معجم أسماء السلاطين و أمراء المماليك في مصر والشام، القاهرة، دار النيل، د.ت، ص 145؛ انظر أيضا: مصطفي عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 162. وهناك رأي آخر أن لفظ الخشداش هو لفظ فارسي ولم يدخل اللغة التركية وإنما جاء للغة العربية مباشرة ومعناه الزميل في الخدمة والخشداشية هم الأمراء الذين نشؤا مماليك عند سيد واحد. انظر أيضا: ابن العماد (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 7، تحقيق، محمود الأرناوؤط، دمشق: دار ابن كثير، ط 1، 1991، ص 507. انظر أيضا: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص 68. وأضاف معظم المؤرخين المعاصرين الأصل الفارسي الذي جاءت منه الكلمة وهو لفظ " خواجة تاشي " أو " خوجاتاشي " أي الزميل في الخدمة. انظر أيضا: ابن عبد الظاهر (محي الدين بن عبد الظاهر)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق، عبد العزيز الخويطر، ط 1، الرياض، 1976 م، ص 238 ؛ شافع بن على بن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، ط 2، 1989 م، ص 69- 70؛ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيي، ت 749 ه / 1349 م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، مهدي نجم، ج 27، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م، ص 229؛ الكتبي (محمد بن شاكر الكتبي)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، ج 1، بيروت: دار صادر، د. ت، ص 263، السيد الباز العريني، المماليك، القاهرة: دار النهضة العربية، 1967، ص 211.

[3] قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، بيروت: دار الشروق، 1994، ص 30.

المحاسن بن تغري بردي: " وتسلطن بعد توران شاه زوجة والده أم خليل شجر الدر باتفاق الأمراء وخشداشيتها المماليك الصالحية وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة".[1]

وهنا يظهر لنا إضافة مهمة لتعريف الخشداشية وهي أنهم المماليك الملازمين للسلطان في بيته وخارج بيته والمقربون منه، ويعد هؤلاء المماليك الحرس السلطاني الخاص، وهنا نعرف أن نظام الرق في العصر المملوكي جعل المملوك يحس إحساسا عميقا بالولاء تجاه سيده الذي حرره وتجاه رفاقه المماليك فقد كان يربط بين السلطان ومماليكه رباط مزدوج يتمثل في الزمالة والعتق.[2]

ولم يرد عند غالبية المؤرخين موقفا آخر يذكر فيه الخشداشية أو الزمالة مع النساء سوي حادثة شجر الدر وخشداشيتها. كما أنهم يذكرون نفس الحادثة، ولم يذكروا فيها لفظ الخشداشية وإنما يذكر المؤرخون لفظ المماليك الصالحية أو مماليك الصالح نجم الدين أيوب أو أهل الحل والعقد.[3] وهو ما يجعلنا نعتقد بأن الخشداشية لم تكن رابطة تجمع الزمالة بين الرجال والنساء وإنما كانت بين المماليك الرجال فقط وحادثة شجر الدر والتي يذكرها أبو المحاسن بن تغري بردي حادثة فردية. ولذلك كان هناك نظام صارم في تربية المماليك منذ بداية ظهورهم في مصر حيث كانوا يجلبون عبيدا صغارا ويتم تعليمهم في مدارس خاصة تسمي الطباق.[4]

---

[1] ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 6، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008 م، ص 372 .

[2] أرتو إسرايليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (648 – 784 هـ / 1250 – 1381م)، دمشق، 2007، ص 83.

[3] ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص 250؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 51– 52؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج 27، ص227؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ج 1، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997 م، ص 462– 463؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 1، ص 285.

[4] الطباق: هو مساكن المماليك التي أنشئت لهم خاصة بالقلعة وهي بمعني خيمة فخمة. انظر: أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط 1، عمان: دار زهران، 2011 م، ص 49. وهو اللفظ الذي أطلق على ثكنات المماليك في قلعة الجبل ولم تكن فوق بعضها بارتفاع كبير بل كانت متجاورة أو على ارتفاع دورين على الاسطبلات وكان يجاورها عادة ميضأة ومصلي. انظر، المقريزي، السلوك، ج 2، ص 156. انظر أيضا: محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 190. وكان توزيع المماليك على تلك الثكنات العسكرية يتم حسب جنسيتهم. انظر: قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص 29– 30. وكان عدد طباق المماليك اثنتا عشرة طبقة كل طبقة منها قدر حارة تشتمل على عدة ثكنات تتسع لنحو ألف مملوك. انظر، آمال العمري، "دراسة لبعض وثائق تتعلق ببيع وشراء الخيول في العصر المملوكي"، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج 2، المجلد العاشر (القاهرة، 1964 م)، ص 257.

وكان المماليك يتعلمون في الطباق العلوم الدينية من القرآن الكريم وأحكام الدين وآداب الشريعة، ثم فنون الحرب من الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل والفروسية.[1]

وإلي جانب ذلك عمد بعض السلاطين إلى تبني فئة صغيرة من المماليك لسبب أو لأخر، وفي هذه الحالة كان يأمر بإنزالهم في الدور السلطانية بدل من الطباق وبذلك ينالون حظهم من التربية والتعليم مع أبناء السلطان في الحريم السلطاني وهم في هذا كانوا أسعد حظا من مماليك الطباق.[2]

ولم يكن الخشداشية في سن واحد بل اختلفت أعمارهم بحسب دخولهم الطباق وجري العرف على تسمية الواحد من الكبار منهم باسم " أغا " وعلى تسمية الواحد من الصغار باسم " إني والجمع " إنيات " ويصبح الصغار في كنف الكبار فـ " الأغا " أشبه بمؤدب " الإني " وإذا وقع صدام في الطباق بين المماليك فإن " الإنيات " يعينون " الأغا " الخاص بهم.[3]

ومن هنا نجد أن العلاقات بين المماليك الذين جمعتهم أواصر الرق والعتق والتربية والخدمة, وكانت العلاقات بين المملوك الكبير والمملوك الصغير تشبه أحيانا روابط البنوة وأحيانا روابط الإخوة، ولم يكن في حياة المملوك من الروابط العائلية غير واحدة فقط منها، مما يوضح معاني ألفاظ المصطلح المملوكي فـ " الأستاذ " هو الأب، و " الأغا " هو الأخ الكبير، و " الإني " هو الأخ الصغير وورد في المصادر المملوكية ما يشير إلى أن لفظ أخ يرادف لفظ خشداش، ولفظ أخوة يرادف لفظ خشداشية.[4]

ومن الملاحظ أن نظام التربية للمماليك في الطباق في عهد المماليك البحرية كان يميزه الصرامة، بينما في عهد المماليك الجراكسة نجد نظام تربية المماليك يدخل عليه بعض التعديلات أهمها هو شراء المماليك من الشباب اليافع الذين تخطوا سن البلوغ وقد عرف هؤلاء الشباب باسم الجلبان أو الأجلاب.[5] وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التطور أن ضعفت رابطة

---

[1] محاسن الوقاد، "صرغتمش الناصري، الحاكم، دراسة في السيرة الذاتية (737 – 759 هـ / 1336 – 1357 م)"، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، 25 (2002 م)، ص 107؛ قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 158–159.

[2] ابن زنبل، آخرة المماليك، ص 308.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج 15، ص 187.

[4] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 218–219.

[5] الجلبان أو الأجلاب: هم المماليك الذين يشتريهم السلطان ويعهد لمقدمي المماليك بتدريبهم وتعليمهم في الطباق ويفرض لكل منهم راتبا (جامكية) وتقدم لهم الإقطاعيات والسلاح بالإضافة لإكرامهم بالخيل والقماش وما إلى ذلك. انظر، ابن زنبل، آخرة المماليك، ص 45.

الأستاذية التي كانت تربط المماليك وسيدهم الذي كان له الفضل في تربيتهم وتدريبهم منذ نعومة أظافرهم.

كما تخلخلت أواصر رابطة الخشداشية التي تجمع بين المماليك في إطار زمالتهم في طائفة بعينها من طوائف المماليك، ومن ناحية أخري ضعفت سيطرة الأمراء والسلاطين على أولئك المماليك الجلبان مما أدي لكثير من حوادث الشغب والاضطرابات.[1]

فلم تكن الخشداشية مجرد رابطة أو أخوة بين المماليك وإنما تعدت ذلك بكثير حيث بسبب هذه الرابطة تم عزل سلاطين أو تعيين آخرين أو حتى خوف السلطان على نفسه من أحد الأمراء نظرا لكثرة خشداشيته، كما نجد كل سلطان يصل للعرش يعين خشداشيته في أعلي المناصب مما جعل هذه الرابطة تؤثر تأثيرا قويا على أحداث الدولة المملوكية داخليا وخارجيا. فدائما حرص الخشداشية على تولى أحد زملائهم كرسى السلطنة وفي حالة نجاحهم لا يترددون في مساندته سلطانا وخشداشا، ونجد ذلك في قيام خشداشية السلطان المنصور قلاوون لمساندته لخلع ابني السلطان الظاهر بيبرس الملك السعيد بركة (676 – 678 هـ / 1277 – 1279 م) والعادل سيف الدين سلامش(678 هـ / 1279 م)وتوطيد الأمر لنفسه.[2]

ونلمس ذلك في دولة المماليك وخاصة في عصر أبناء وأحفاد الناصر محمد بن قلاوون، إن كل سلطان من بني قلاوون كان يقف خلفه أمير أو أكثر من كبار أمراء المماليك بحيث طغت شخصية أولئك الأمراء على السلاطين وأصبحت أسماء الأمراء – دون السلاطين – هي مدار الأحداث المعاصرة وموضوع اهتمام المؤرخين المعاصرين وغير المعاصرين.[3]

وقد أصبحت المماليك البرجية أو الجراكسة منذ عام 689 هـ / 1298 م فرقة لا يستهان بأمرها، ففضلا عن كثرتهم العددية صار أغلبهم في سلطنة الناصر محمد الثانية من كبار الأمراء، بل أصبح منهم أمراء ألوف, وعين البعض الآخر منهم نوابا في بلاد الشام ومصر.[4]

---

[1] المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدي، (ت 845 هـ / 1442 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، ج 3، تحقيق، محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط 1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998 ، ص 67؛ ابن زنبل، آخرة المماليك، ص 45.

[2] بيبرس الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار (ت 752 هـ / 1325 م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة 648، 711 هـ)، نشره ووضع له فهارسه وقدم له، عبد الحميد صالح حمدان، ط 1، بيروت: الدار المصرية اللبنانية، 1987 م، ص 90؛ المقريزي، السلوك، ص 122-124؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 1، ص 347.

[3] H. al- Harthyī, "The Patronage of Al-Naṣer Moḥamad b. Kalawun, 1310 – 1341," *Mamluk studies* 4 (2000) ، 2221

[4] الهام الدجاني، السلطان الظاهر برقوق، ص273.

والذي ساعد في نمو هذه الفرقة من المماليك الجراكسة هو فترة وجود سلاطين صغار – من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون – وبذلك برز أحد أمراء الجراكسة وهو الأمير " برقوق " الذي استطاع بفضل طموحه أن يصل إلى منصب أتابك[1] العسكر سنة 870 هـ / 1378م. وبذلك أصبح برقوق على جانب كبير من القوة في عهد السلطان علاء الدين على الذي لم يتجاوز ست سنوات.[2]

وبعد وفاة السلطان علاء الدين على كان في استطاعة برقوق أن يلي عصر السلطنة ولكنه كان يدرك أن الأمور لم تكن في مصلحته بالإضافة إلى أنه كان له معارضون من كبار الأمراء، لذلك تظاهر برقوق بالزهد في السلطنة.[3] وتولي الحكم السلطان الأمير حاجي حفيد الناصر(783 هـ / 1381 م)، وأصبح برقوق صاحب الكلمة وتخلص من منافسيه، وبذلك استقرت الأمور له فقام بعقد اجتماعٍ كبير بالقلعة وخلع الأمير حاجي وأعلن برقوق سلطانا على مصر والشام وبذلك بدأت دولة المماليك الجراكسة.[4]

وبذلك أنهي برقوق على سلطنة المماليك البحرية في مصر بعد حكم دام نحو مائة وثلاثين سنة، وقضي على سلطنة بيت قلاوون بعد أن حكمت هذه الأسرة من هذه الفترة نحو مائة سنة.[5]

وكان برقوق هو أول ملوك الجراكسة بالديار المصرية سنة (784 هـ / 1382 م).[6] وأقام برقوق دولة جديدة هي الدولة المملوكية الثانية المعروفة بالبرجية أو دولة الجراكسة.[7] وقام السلطان برقوق بالاستكثار من جلب المماليك الجراكسة.[8] بعد عزله السلطان حاجي بن شعبان وهذا ما وطد حكمه بعد ذلك.

---

[1] الأتابك: معناها أمير أب والمراد أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى. انظر: القلقشندي، صبح الاعشي، ج4، ص 18. وفى الاصطلاح مربى الأمير، ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب أتابك العسكر. انظر أيضا: محمد دهمان، معجم الألفاظ ، ص 11.

[2] منال محمد السيد، تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، د. ت، ص 152.

[3] محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 187.

[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت، ص 298-299.

[5] إلهام الدجاني، السلطان الظاهر برقوق، ص 280- 281.

[6] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 318. انظر أيضا: جيمس واترسون، فرسان الإسلام وحروب المماليك، ت، يعقوب عبد الرحمن، ط 1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011، ص 330.

[7] إلهام الدجاني، السلطان الظاهر برقوق، ص 280-281.

[8] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج 3، ص 781.

وعلي أية حال لم يكن مبدأ وراثة العرش متبعا بشكل سليم, أو على الأقل لم يكن هو المبدأ الذي سارت عليه الدولة المملوكية في الجلوس على العرش؛ مما كان يجعل هؤلاء الأمراء يرشحون سلاطين من الأطفال ليكون ذلك ستاراً مناسباً لتنفيذ كل رغباتهم.[1] فكما سبق وذكرنا أن المماليك تربوا تربية عسكرية وتبنوا نظرة تقوم على أساس أنهم متساوون لا فضل لأحد على آخر في اعتلاء العرش إلا بقوته وشجاعته وحنكته وذكائه، ومن هنا لم يكن مفهوم الوراثة أو الحكم السلطاني على أساس توريث الحكم سائداً في فكرهم أو يلقي الكثير من القبول والرضا لديهم ورفض المماليك سلالية الحكم الوراثية.[2]

وأحياناً كان يعني في حقيقة الأمر أن يصبح السلطان مجرد صورة بينما يحتدم الصراع على السلطة الحقيقية خلف العرش بين أمراء المماليك الأكثر قوة ونفوذاً.[3] وهذا ما فعله السلطان الظاهر برقوق لوصوله للحكم، وكثير من الأمراء المماليك الذين لم يصبحوا سلاطين ولكن كان لهم دورّ هام في سير الأحداث داخل الدولة المملوكية سواء الأولي أو الثانية.

ففي الحقيقة يزخر التراث الإسلامي بسير السلاطين دون الأمراء، ومن الظواهر الأساسية في التاريخ أن الكثير من الأمراء الذين لم ينحدروا من بيوت الملك والسلطنة ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه عن طريق الوراثة، امتاز تاريخهم في أدواره الأولي بالغموض والإبهام، وتضارب الروايات حول أصلهم ونشأتهم، وليست هناك أية غرابة في هذه الظاهرة التاريخية فإذا ولد طفل في قصر، اهتم به المؤرخون منذ مولده، أما إذا كان مغموراً فإن الناس لا تشعر به ولا يتعرض له مؤرخ، حتى إذا ما أصاب نصيباً من الدنيا، حاول المؤرخون عندئذ أن يسدوا الثغرة التي أحاطت بمراحل حياته الأولي ولذلك وقع الاختيار على شخصية الأمير سودون طاز لما لها من مكانة هامة ومؤثرة في هذه الفترة من حكم الدولة المملوكية.[4]

نشأة سودون طاز:

---

[1] محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر "الحالة السياسية والاقتصادية"، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت، ص 55 - 57 ؛ قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 278.

[2] مفيد الزيدى، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)، عمان: دار أسامة، 2009، ص 74، عثمان على عطا، مجالس الشورى في عصر سلاطين المماليك (648 –923 هـ / 1250 – 1517 م)، القاهرة، الدار الثقافية، 2008، ص 33.

[3] جيمس واترسون، فرسان الإسلام، ص 326.

[4] محمد عبد الغني الأشقر، سلار الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر (660 – 710 هـ / 1260 – 1310 م)، القاهرة: مكتبة مدبولى، 2000، ص 11.

هو الأمير سودون بن عبد الله بن على باك الظاهري الأمير سيف الدين المعروف بسودون طاز.[1] ولم يرد في المصادر ذكر تاريخ مولده وكل ما ورد بشأن المرحلة الأولي من حياته أن له أخ عرف باسم الأمير قلمطاي.[2]

فقد جمع السلطان برقوق من المماليك من سائر الأصناف ما لم يجمع غيره من الملوك، فوصل جميع ما اشتراه من المماليك في أيام دولته إلى عشرة آلاف مملوك، وغالب مماليكه وأهل عسكره كان من الجراكسة على اختلاف طوائفهم.[3] ووضع السلطان برقوق مماليكه الجراكسة في كل وظيفة رئيسية في الحكومة.[4]

فكان الأمير سودون طاز من مماليك السلطان الظاهر برقوق ومن خواصه، وأمره إمرة عشرة.[5] وجعله معلماً للرمح وكان رأساً في لعب الرمح وغيره من أنواع الفروسية، يضرب بقوة طعنه وشدة مقابلته المثل.[6] فكان رأس في هذا الفن لما اكتمل فيه من قوة الطعن، وشدة مقابلة الخصم وسرعة الحركة، وحسن تسريح الفرس أثناء اللعب.[7]

وهكذا قد نشأ المملوك أو الأمير سودون طاز في كنف أستاذه السلطان برقوق الذي عرف عنه كثرة ما كان يخرجه في الإنعام على أمراء الدولة ورجالها. ثم من بعده انضم إلى مماليك أولاده.[8]

---

[1] ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي)(ت 874 – 1470 م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج 6، تحقيق، محمد محمد أمين، القاهرة 1990 م، ص 131.

[2] ابن شهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد بن عمر بن محمد الدمشقي (ت 851 هـ / 1447 م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج 4، تحقيق، عدنان درويش، دمشق، 1977، ص 377.

[3] بدر الدين العيني، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، تحقيق، إيمان عمر شكري، ط 1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2002، ص 496.

[4] جيمس واترسون، فرسان الإسلام، ص 330.

[5] إمرة عشرة: هو من كان يرأس عشرة من فرسان المماليك. وربما كان فيهم من له عشرون فارساً ولا يعد إلا في أمراء العشرات. وهذه الطبقة أيضاً لا ضابط لعدة أمرائها بل تزيد وتنقص ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة، انظر: محمد بن عيسي بن كنان، (1074 هـ / 1153 م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق، عباس صباغ، دار النفائس، ط 1، 1991، ص 48، هـ 4؛ القلقشندى، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر (مختصر صبح الأعشي في كتابة الأنشا) تحقيق، محمود سلامة، ط 1، القاهرة: مطبعة الوعظ، 1906، ص 245. انظر أيضا: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص 24 ؛ أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ، ص 43.

[6] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 132– 133.

[7] السيد الباز العريني، المماليك، ص 99.

[8] المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن على، (ت 845 هـ)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق، كرم حلمي فرجات، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007، ص 145.

الوظائف التى تولاها سودون طاز:

ولو تتبعنا سيرة الأمير سودون طاز لوجدنا أنه تنقل في عدة وظائف هامة. فمن المعروف أن الأمير يرتقي في الوظائف والرتب في عهد السلطان الذي أمره، ويجوز له أن يتولى السلطنة متى واتته الفرصة.[1] وقد بدأ الأمير سودون طاز حياته الوظيفية في فترة حكم السلطان برقوق بإنعام السلطان عليه بإمرة عشرة سنة 798 هـ / 1396م.[2] ثم أنعم السلطان برقوق على جماعة من مماليكه ومنهم سودون طاز أمير عشرة بطبلخاناه.[3]

وفي الحقيقة أن مكانة الأمير سودون طاز وثقة السلطان الظاهر برقوق فيه جعلته يقوم بالعديد من المهام الهامة ففي سنة 798 هـ / 1396م وصل الأمير سودون طاز مبشراً للحجاج وبشر بالأمن والسلامة والرخاء.[4] وأيضاً عام 799 هـ / 1397م قام بوظيفة البريد.[5]

فعندما ورد الخبر بقدوم الأمير تنم الحسني [6] نائب الشام، وقد توجه الأمير سودون طاز وركب البريد إلى دمشق لإحضاره وخرج السلطان برقوق إلى القلعة بالريدانية، وبعث إليه الأمراء

---

[1] السيد الباز العريني، المماليك، ص 154.

[2] الصيرفي، الخطيب الجوهري بن على بن داود، (ت 879 هـ / 1475 م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، تحقيق، حسن حبش، مطبعة دار الكتب، 1970، ص 429.

[3] طبلخاناه، لفظ مركب من كلمة طبل العربية وكلمة خاناه الفارسية، ويعني بيت الطبل، أو الفرقة الموسيقية السلطانية، وكانت تتكون من عده طبول نصحبها أبواق وزمارات وكوسات تختلف أصولها على إيقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب؛ انظر: المقريزي، الخطط، ج 3، ص 691.

[4] المقريزي، السلوك، ج 5، ص 388؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج 1، ص 432؛ ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 3، ص 590.

[5] البريد: البريد في الاصطلاح هو أن يجعل خيلاً مضمرات في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره، وهكذا حتى يصل بسرعة، أما البريد في اللغة فهو المسافة المحددة بين مركزين قدرها العلماء والفقهاء بأنها أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً وهو للاستعلام والأخبار. انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص 240- 242.

[6] تنم سيف الدين الحسنى الظاهرى برقوق، تنقل فى خدمة أستاذه إلى أن ولاه نيابة دمشق بعد وفاة كمشبغا الخاصكى، ولما مات أستاذه في عام 802 هـ / 1400م خرج على الناصر فرج لكنه تم القبض عليه حتى مات مقتولاً بدمشق في نفس العام، انظر: السخاوى، (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، دار الجبل، بيروت، ص 44 – 45.

والقضاة فسلموا عليه، ثم أتوا به فقبل الأرض فخلع عليه خلعة.[1] باستمراره على نيابة دمشق.[2] ثم سنة 801هـ أصبح من أكابر المماليك الخاصكية.[3]

ولمكانة الأمير سودون طاز كان له رأي مسموع في القرارات الهامة فبعد السلطان برقوق سنة 801 هـ /1399م اجتمع الأمراء وحضر الخليفة والقضاة الأربعة لتنفيذ وصية السلطان برقوق في تولية ابنه في السلطنة. وبالفعل عقدوا له السلطنة, وكان من بينهم الأمير سودون طاز. وأيضاً عندما رأي الأمير ايتمش أن يدفن السلطان برقوق بالليل كان سودون طاز له قراره النافذ فلم يرضَ على رأي الأمير ايتمش ومعه أكابر المماليك الخاصكية للسلطان برقوق مثل الأمير يشبك الخزندار وجركس الدوادار و أقباي الكركي وغيرهم وبالفعل تم دفن السلطان برقوق بالنهار بعد صلاة الجمعة.[4]

وبعد وفاة السلطان برقوق 801 هـ / 1399 م تولي السلطنة ابنه السلطان الناصر فرج (801 – 815 هـ / 1399 – 1412 م) وزادت أهمية الأمير سودون طاز في هذه المرحلة وصار سودون طاز في عهده أمير مائة.[5] وهذا ما أثار غيرة بعض الأمراء من الأمير سودون طاز مثل الأمير شاه على جركس عندما أنعم عليه لم يرضَ ووقع بينه وبين سودون طاز منافرة، وقال له الأمير سودون طاز، " ما ترضي كنت في أيام السلطان جنديا صرت أمير طبلخاناه ؟ " فقال له جركس، " وأنت ما كنت جنديا في أيام السلطان فكيف صرت أمير مائة

---

[1] خلعة: كانت تستعمل كلمة يُخلع عليه عندما يتولى أحدهم منصباً يوليه إياه السلطان. وكان يلازم ذلك زى يلبسه في حينه، ويقال ونزل وقد لبس الخلعة. انظر: المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج 4، تحقيق، محمود الجليلي، د.ت، ص17.

[2] المقريزي، السلوك، ج 5، ص 393؛ ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 3، ص 603؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 64.

[3] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 377 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج 1، ص 495. أما الخاصكية فهم فئة من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من الأجلاب الذين ينضمون إلى خدمة السلطان وهم صغار فيتخذ منهم حرسه الخاص، وكانوا يلازمون السلطان في خلواته وفراغه. وكانت الخاصكية من المؤهلات للوظائف الكبرى بل وللسلطنة في بعض الأحيان؛ انظر: العمري، مسالك الأبصار، ج 3، ص 293، هـ 3.

[4] بدر الدين العيني، السلطان برقوق، ص 493؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج 1، ص 495.

[5] أمير مائه: هي أعلي رتبة في الجيش الإقطاعي المملوكي، ومعني ذلك أن من حقه أن يشتري مائه مملوك على الأقل، وأن يقود ألفاً من أجناد الحلقة في جيش السلطان، والطبول التي تدق على بابه، ثمانية أحمال طبلخاناه وإذا كان هذا المقدم أتابكاً للعساكر، أي قائداً عاماً، بعد السلطان بطبيعة الحال. انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج 15، ص 15. وكان راتبه 80000 الحد الأدنى، والحد الأقصى 200000 دينار. انظر أيضا: محمد عبد الغني الأشقر، سلار الأمير التتري، ص 140.

ومثلي مثلك".[1] ثم ترقي وأصبح سودون طاز مقدم ألف[2] بالديار المصرية.[3] وفي سنة 802 هـ / 1400م اخلع على سودون طاز واستقر به دوادار كبير[4] عوضاً عن الأمير بيبرس.[5]

وفي نفس العام استقر الأمير سودون طاز في وظيفة أمير آخور كبير[6] عوضاً عن الأمير سودون بن عبد الله الظاهري المعروف بالطيار.[7] بحكم انقطاعه بالشام.[8] وبهذا المنصب زادت مكانة الأمير سودون طاز. وأصبح يعرض عليه الجمال السلطانية ويعين منها برسم بسفر السلطان وأثقال مماليكه، سبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وستون جملاً، سوي ما فرق على

---

[1] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 76.

[2] مقدم ألف: كان عدتهم قديماً أربعة وعشرين أميراً كل واحد منهم بخدمته مائه مملوك وأرباب وظائف على العادة وهو مقدم على ألف جندي حلقة. انظر: ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه، بولس راويس، ط 2، القاهرة: دار العرب للبستان، 1998، ص 113. ومقدم ألف من الأمراء المرشحون لنيابة السلطنة. انظر أيضا: محمد عبد الغني الأشقر، سلار الأمير التتري، ص 140.

[3] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 23؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 16؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 133.

[4] دوادار كبير: هو من أرباب السيوف، ويتولى تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه وتقديم البريد، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب. انظر: القلقشندي، الأعشي، ج 4، ص 19؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 14، ص 4، هـ 3. واستجدت هذه الوظيفة في أيام السلطان الناصر حسن وأول من وليها بخلعة الأمير شيخون وصارت من يؤمئذ وظيفة. انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج9، ص 264.

[5] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 565.

[6] أمير آخور: مصطلح مركب من لفظين أحداهما عربي وهو " الأمير " والآخر فارسي وهو " آخور " ومعناه المعلف فيكون معني المصطلح " أمير المعلف " لأنه المتولي لأمر الدواب؛ انظر: المقريزي، الخطط، ج 3، ص 312، وهو المتحدث على الإسطبل السلطاني أو الأمير، الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 35؛ ابن الطوير، أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني (524 – 617 هـ / 1130 – 1220 م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، فرانتسستايز شتوتفارت، 1992، ص 137؛ وأيضاً كان مشرف على البريد والهجن. ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 274، هـ 1. وكان أيضاً يتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيراهما مما هو داخل حكم الإسطبلات. انظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج 5، ص 461.

[7] ابن حجر العسقلاني (الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على)، (ت 852 هـ): ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 81.

[8] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 77.

المماليك السلطانية[1] وسوي الهجن[2] بحكم أنه أمير آخور كبير، ولشغل الأمير سودون طاز وظيفة أمير آخور كبير سكن في باب السلسلة[3] بالإسطبل السلطاني.[4]

ولما كان للفروسية وخاصة الخيل أهمية بالغة فقد شغف بها سلاطين المماليك. وكان يدير تلك الإسطبلات السلطانية موظف يسمي أمير آخور.[5] ويعتبر من يعمل بها من طبقة أرباب السيف (رجال الدولة).[6] وهي من الوظائف المتصلة بالحضرة السلطانية.[7] ومن الوظائف الهامة في الدولة المملوكية ومتوليها يكون في العادة من أمراء المئين ومقدمي الألوف، ومهمته من أخطر المهمات التي يتولاها أمير مملوكي في السلم والحرب فهو مسئول مسئولية تامة عن الإسطبلات السلطانية وما تحويه من الدواب والخيول لإعدادها أثناء الحرب للسلطان أو للمماليك على حد سواء وفي أثناء المواكب السلطانية وللسباق، وكبيرهم يطلق عليه أمير آخور كبير.[8] وهذا يدل علي مدي ما وصل له الأمير سودون طاز من مكانة. وفي نفس الوقت كان سبب في العديد من المشاكل والخلافات بينه وبين الأمراء من أجل الوصول للسلطة والسيطرة علي أمور الدولة.

---

[1] المماليك السلطانية: هم أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً، وأشدهم إلى السلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة، وهم في العدة بحسب ما يؤثره السلطان من الكثرة والقلة، وقد كان لهم في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الظاهر برقوق العدد الجم والمدد الوافر لطول مدة ملكهم واعتنائهم بجلب المماليك وشراها. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج 4، ص 15- 16 .

[2] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 570.

[3] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 42.

[4] محمد أحمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص 22.

[5] آمال العمري، دراسة لبعض وثائق، ص 255.

[6] البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، ج 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 219.

[7] حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 1، القاهرة: دار النهضة العربية، د. ت، ص 159.

[8] شريفة بنت ردة بن عطية المالكي، الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر المماليك البحرية (648 _ 784 هـ / 1250 – 1382 م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2006 م، ص 90.

وفي نهاية السلم الوظيفي للأمير سودون طاز ونتيجة للصراعات العديدة بينه وبين الأمراء انتقل سودون طاز من الإسطبل وعزل نفسه.[1] ونزل بأهله وحاشيته إلى بيته.[2] وأخرجت أقطاعات مماليك سودون طاز ومن يلوذ به.[3]

ونستنتج من ذلك أن تولي الأمير سودون طاز لكل هذه الوظائف راجع إلى كفاءته، إذ إن الكفاءة كانت هي الاعتبار الأول في سبيل ترقي المملوك إلى المناصب الكبرى. وكانت وظيفة أمير آخور مرحلة مهمة في حياة الأمير سودون طاز. إذ زادت نفوذه وعظمته وعلو جاهه وقوة سطوته في الدولة وصار من أعيان المتكلمين في المملكة وإليه مرجع غالب أمور الرعية. وزاد أمره ومكانته واستمر على ذلك بما هو عليه من الحرمة والعظمة إلى أن وقع خلاف بينه وبين الأمير يشبك الشعباني الدوادار.[4] لطمع كل منهما في السلطة واثبات أي منهما الأفضل ويستحق أن يكون الأول في الدولة .

صراع سودون طاز مع الأمراء للسيطرة على أمور الدولة:

فنتيجة لزيادة سلطة الأمير سودون طاز زادت خلافاته مع الأمراء المماليك وزاد نفوذهم على السلطان وعلي الدولة. فبعد وفاة السلطان برقوق سارع الأمراء لتنفيذ وصيته وولوا ابنه فرج العرش ولقبوه الناصر، لكنهم أخلفوا الوصية واليمين في دعم فرج في استقرار الأمن في الدولة.[5] في كل واحد فيهم طمع في السلطة والقوة والسيطرة علي السلطان ليصبح المسئول الأول عن أمور السلطنة. فأحيانًا كان في حقيقة الأمر أن يصبح السلطان مجرد صورة بينما يحتدم الصراع على السلطة الحقيقية خلف العرش بين أمراء المماليك الأكثر قوة ونفوذاً، فكان الأمراء المماليك يحكمون من وراء الستار. ولم يقدموا على الوصول للسلطنة لمعرفتهم بأنهم

---

[1] ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي، (920-844 هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق، عمر عبد السلام التدمري، ج 1، ق 3، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002، ص 81.

[2] السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت 902 هـ)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، د. ت، ص 366.

[3] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، (ت 852 هـ / 1488 م)، أبناء الغمر بأنباء العمر، ج 2، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1998، ص 231.

[4] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 133- 134.

[5] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 102.

كصناع للسلاطين ومحركين للأحداث أفضل من كونهم سلاطين[1] حيث طغت شخصية أولئك الأمراء على السلاطين وأصبح لهم مكانة كبيرة، وأصبحت أسماء الأمراء هي مدار الأحداث.[2]

فلم يكن مبدأ وراثة العرش متبعًا بشكل سليم بل كان توازن القوي بين الأمراء واتفاقهم على أحد السلاطين هو الأساس في وضعه على العرش.[3] وبذلك أصبح الأمراء المماليك هم أصحاب الحل والعقد في الدولة المملوكية.[4] ولذلك بدأ الأمراء في التحكم في الأمور والسيطرة على الدولة في ظل صغر سن السلطان الناصر فرج فنجد الأمراء الخاصكية وعلى رأسهم الأمير سودون طاز مع مجموعة من الأمراء سلوا سيوفهم ودخلوا القصر وقبضوا على عدد من الأمراء المماليك وأنزل الجميع إلى الحراقة[5] وتوجهوا إلى سجن الإسكندرية.[6]

وأشاعوا أن السبب في القبض على هؤلاء أنهم عزموا على إثارة فتنة. ولم يطلع أحد من الأمراء إلى القلعة للخدمة خوفًا من الخاصكية لأنهم صاروا هم الذين يتكلمون في الأمور ويأمرون وينهون وأصبح الأمير سودون طاز ومن معه هم المسيطرون على الأمور في الدولة.[7] ولذلك حسن الأمراء الخاصكية للسلطان الناصر فرج أن يثبت رشده ويستقل بالأمر.

ولذلك طلب السلطان الناصر فرج من الأمير الكبير ايتمش أن يترشد ويتولى أمور الدولة وكان هذا بالاتفاق بين السلطان وبعض الأمراء ومنهم الأمير سودون طاز والأمير يشبك. فأجاب ايتمش السلطان بالسمع والطاعة وتم ترشيد السلطان الناصر فرج ونزل ايتمش إلى داره ونقل سائر ما كان له بالإسطبل السلطاني.[8] وكان ذلك حيلة من الأمراء للتخلص من نفوذ الأمير ايتمش ومن سيطرته على السلطان الناصر فرج وذلك لنفور وكراهية الأمراء الخاصكية وأعيان المماليك السلطانية من الأمير ايتمش الأتابك.[9]

---

[1] جيمس واترسون، فرسان الإسلام، ص 326.

[2] Al-Harthyī, "The Patronage," 221.

[3] قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 278؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص 55- 57.

[4] شريفة بنت ردة، الأمراء المماليك، ص 120.

[5] الحراقة، سفينة حربية كبيرة كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية، وفي مصر لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية. انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 173، هـ 1؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 15، ص 333، هـ 3.

[6] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 173- 174.

[7] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 21- 22.

[8] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 67؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 8.

[9] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 31؛ ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 67.

صراع سودون طاز ضد ايتمش الأتابك:

وما أن ترشد السلطان الناصر فرج، حتى بدأت بوادر الفتن والاضطرابات بين الأمراء مستغلين صغر سن السلطان الناصر فرج، وبذلك ولي الأمر في الدولة أمراؤها الطامعون في سلطانها. وألت الأمور فيما بينهم إلى حرب دامية.[1]

ولذلك زاد الاختلاف سنة 802 هـ / 1400 م بين أكابر الأمراء وبين الأمراء الخاصكية, واشتدت الوحشة بين الطائفتين وكثر نفور الخاصكية من الأمير ايتمش الأتابك وظنوا به وبالأمراء أنهم قد مالوا إلى الأمير تنم نائب الشام واتفقوا معه على إفناء المماليك بالقتل والنفي.[2] وبالفعل كان السبب الرئيسي لقيام تنم بالعصيان هو الصراع بين الأتابك ايتمش والأمير سودون طاز آخور كبير، حيث اعتبر ايتمش سكن سودون طاز في الإسطبل السلطاني[3] تعديًا على حقه؛ ولذلك دارت معركة بين ايتمش والأمير سودون طاز حول السكن في الإسطبل السلطاني. ولذلك انتهز الأتابك ايتمش فرصة عدم حضور الأمير سودون طاز لمجلس السلطان واتهمه بمحاولة إثارة الفتنة، فتم القبض عليه وأرسل إلى سجن الإسكندرية.[4]

ونستنتج من ذلك أن أمر الأمير سودون ظاز أنتهي ولكن بمساعدة الأمراء المقربون له وخشداشيته عاد سودون طاز إلى وظيفته ولكن انتقل من الإسطبل السلطاني ليسكنه الأمير الكبير ايتمش، وبالفعل صعد الأمير ايتمش الأتابك إلى الإسطبل السلطاني وسكن فيه، لأن عادة من يتحدث في أمور المملكة نيابة عن السلطان أو السلطان الصغير يسكن الإسطبل بباب السلسلة.[5] ولذلك كانت الغيرة من سودون طاز لمكانته في السلطنة مع كثرة خشداشيته.

---

[1] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج4، ص 67؛ المقريزي، السلوك، ج6، ص 8؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 182.

[2] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 67؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 7.

[3] الإسطبل السلطاني: الإسطبل كلمة تعني حواصل الخيول والبغال وما في معناها. انظر: القلقشندي، صبح الاعشي، ج3، ص 478؛ انظر: نبيل محمد عبد العزيز، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1976، ص 102، هـ 2. والاسطبل السلطاني عبارة عن بناء مسقوف جيد التهوية ومتسع جداً برسم الخيول السلطانية وله حوش وباب يفتح ويغلق حسب الحاجة وعند الضرورة. انظر: ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 125– 126. والمعروف أن أول من أستحدث الإسطبلات السلطانية بقلعة الجبل الملك الكامل، واستمرت في أيام خلفائه ثم كان اتساعها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، انظر: نبيل محمد عبد العزيز، الخيل ورياضتها، ص 102.

[4] هالة نواف يوسف الرفاعي، السجون في مصر في العصر المملوكي (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م)، الجامعة الأردنية، 2008، ص 148؛ مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 102.

[5] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 10؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 24.

ولذلك سنة 802 هـ / 1400م اتفق الأمير سودون طاز وسودون من زاده، وجركس القاسمي المصارع وآقباي من حسين شاه وغيرهم من الأمراء ضد الأمير الكبير ايتمش وانضم إليهم الأمير يشبك الشعباني الخازندار الدوادار وصاروا عصبة قوية وشرع كل من الأمراء الخاصكية في التدبير والعمل على الآخر.[1]

كما أنه أشيع خبرٌ أن الأمير ايتمش اتفق مع غالب الأمراء الكبار والصغار وغالب المماليك السلطانية من الترك وبعض الجراكسة، وبعض الأمراء من أولاد الناس على أن يمسكوا الأمراء الذين اتفقوا على ترشيد السلطان ومنهم الأمير سودون طاز.[2]

ومن الطبيعي أن يدافع الجميع عن حقه في فرض سيطرته على أمور الدولة ولذلك اجتمع غالب الأمراء والخاصكية من الظاهرية عند السلطان، وطلب الأمير يشبك مماليك الطباق وأمرهم بلبس السلاح ولبس هو وجميع الأمراء، وحرضهم على قتال ايتمش ورفقته وأشاع أن الأمراء أرادوا أن يسلطنوا ايتمش وأنهم بذلك يقاتلون مع ابن أستاذهم السلطان برقوق حتى الموت. فأجابه جميع الأمراء المماليك الجلبان أن مقالته حقيقية. وخرج الأمراء بما فيهم الأمير سودون طاز لمقاتلة الأمير ايتمش.[3]

وفي سنة 802 هـ / 1400م خرج الأمير تنم نائب دمشق منها إلى نحو حلب.[4] وخرج السلطان الناصر فرج لقتال تنم بالرملة, ولما حاول السلطان مصالحة تنم وأرسل إليه يطلب الصلح، طلب تنم إرسال كلٍّ من الأمير يشبك وسودون طاز وجركس المصارع وغيرهم وأن يعود الأمير ايتمش كما كان ولكن الناصر رفض وأصر على مقاتلة تنم وبالفعل انتصر عليه.[5] وانهزم الأمير ايتمش وهرب.[6]

وفي ظل هذه الظروف نجد أن تسلط الأمراء على بعضهم البعض وإقامتهم للثورات والفتن وتدخلهم في أمور الدولة كان أمراً ظهر كثيراً في الدولة المملوكية فسنجد وقوع الخلاف بين الأمير سودون طاز وغيره من الأمراء مثل صراعه مع الأمير سودون قريب السلطان

---

[1] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 66؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 31؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 180 – 181؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 555.

[2] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 35.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص187.

[4] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 9.

[5] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 205 – 206؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 578.

[6] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 70؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 35؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 10.

الظاهر برقوق المعروف بسيدي سودون وكادا يقتتلان بسبب سكني الإسطبل السلطاني ووظيفة الآخورية لولا فرق بينهما الأمير نوروز الحافظي*.[1] ووقع أيضا بين جركس المصارع والأمير سودون طاز تنافس بسبب الإقطاع وتقاضيا ولم يبق سوي أن تثور الفتنة حتى فرق الأمراء بينهم.[2]

وبذلك صارت المملكة بأيدي هؤلاء الأمراء وكل من أراد شيئًا فعله، فصار الرجل يلي الوظيفة من سعي فلان وينزل إلى داره فيعزل في الحال بأمر غيره وكل أحد يتعصب لواحد، وكل منهم يروم الرتب العليا.[3] وزادت مكانة الأمير سودون طاز في المملكة بعد إبعاد الأمير ايتمش عن أمور الدولة.

صراع سودون طاز مع الأمير يشبك الشعباني:

استمر الأمير سودون طاز على ما هو عليه من الحرمة والعظمة إلى أن وقع بينه وبين الأمير يشبك الشعباني الدوادارالخازندار خلاف.[4] وكان هذا الخلاف طبيعيًا لأن الأمير يشبك صار من مشيرى الدولة ومدبر أمورها مع سودون طاز. ولذلك اشتدت المنافسة بينهما وكثرت الاختلافات بين الأمراء وكان لابد أن يتخلص طاز من يشبك لاستمرار نفوذه.[5] وكثيرًا ما قامت الفتن والثورات والحروب بين الأمراء لمجرد انفراد أحدهم بأمور الدولة طمعاً في السلطة، إذ يريد كل أمير أن يتولى هو الحكم والسلطة فيثور هو وأنصاره ومؤيدوه، وقد ينجح في ذلك وقد يكون في ثورته نهايته.[6]

ففي سنة 802 هـ / 1400م وقع الخلاف والفتنة بين الأمير سودون طاز وبين الأمير يشبك الشعباني الدوادار على مركز الأتابكية.[7] ثم مُنع جميع مباشري الدولة بديار مصر من

---

*نوروز الحافظى الظاهرى من مماليك السلطان برقوق والذي تدرج في المناصب حتى وصل لأمير آخور سنة800هـ ثم أراد الخروج على السلطان، ولكن وشى عليه بعض المماليك فقبض عليه سنة 801هـ وسجن بالإسكندرية ثم نقل منها لدمياط ثم أفرج عنه سنة 802 هـ /1400م وأستقر رأس نوبة كبير وظل ينتقل في الفتن حتى قتل في 817هـ . انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج 10، ص 204.

[1] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 14؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 196.

[2] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 14؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 566.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 196.

[4] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 134.

[5] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 84.

[6] شريفة بنت ردة، الأمراء المماليك، ص 155.

[7] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 104– 105.

النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار لخدمته.[1] ويعرضون عليه الأمور، فيأمرهم بما يريد، وينهاهم عما لا يحب فيصرفون سائر أمور الدولة حسب أوامره ونواهيه، وذلك عظم على الأمير سودون طاز وحنق منه ولذلك تفاوض الأمير سودون طاز مع السلطان في كفه عن ذلك حتى وافق السلطان.[2]

ومن الطبيعي أن يغضب الأمير يشبك الدوادار من ذلك ودبر للقبض على الأمير سودون طاز ولكن الأمير سودون طاز فطن لذلك.[3] وحذره بعض الأمراء الخاصكية من خطة الأمير يشبك.[4] الذي كان ينوي أن يقتل الأمير سودون طاز. ولذلك نزل الأمير يشبك الدوادار إلى داره ونادي بالقاهرة من قاتل معه من المماليك السلطانية فله عشرة آلاف درهم واستعد للحرب.[5] ولذلك أخذ الأمير سودون طاز خيول السلطان من الإسطبل السلطاني وذهب هو ومماليكه إلى الأمير جكم[6] من عوض ببركة الحبش فعظم أمر الأمير جكم بسودون طاز، واتفقا على قتال يشبك.[7]

وحاول السلطان أن ينهي هذه الفتنة وأرسل إلى الأمير جكم أن يذهب إلى نيابة صفد لوقف الفتنة بين الفريقين بالصلح, ولكن امتنع الفريقان وبعث الأمير سودون طاز والأمير جكم إلى السلطان يطلبون منه أن يسلم إليهم الأمير يشبك الدوادار وعده من أصحابه، فتخلي عنه السلطان.[8] ومنع المماليك السلطانية من الوقوف بجانب الأمير يشبك, وبعد ساعة أقبل الأمراء سودون طاز وجكم ونوروز الحافظي الذي انضم إليهم وجماعة أخري من الأمراء وحملوا على يشبك وجماعته فانتصر سودون طاز وجكم ونوروز الحافظي على الأمير يشبك الدوادار

---

[1]ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 102؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 215؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 627- 628.

[2]ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 215؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 31؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 588.

[3]ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 134.

[4]المقريزي، السلوك، ج6، ص 62؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 627- 628.

[5] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 314؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 62.

[6] جكم بن عوض أبو الفرج الظاهرى برقوق وهو الذى تولى دواداراً بعد انتصاره على يشبك بالقاهرة وأظهر العدل ثم تم اعتقاله ونقل ليحبس بدار العدل بحلب إلى أن أطلق سراحه وتولى أمرة حلب وخرج على السلطان الناصر فرج وهزمه في الصالحية، ودخل دمشق واستمر بها وأخذ حماه ثم أضيفت إليه نيابة الرها. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج3، ص 76.

[7] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 186؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 134.

[8] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 84.

وأصحابه.[1] وهرب الأمير يشبك ونهبت داره وتم القبض على قطلوبغا الكركي,[2] وظل الأمراء يتتبعون الأمير يشبك حتى تم القبض عليه، وأرسل إلى ثغر الإسكندرية وسجن وتولي الأمير جكم دواداراً عوضاً عن الأمير يشبك الدوادار.[3]

وبذلك عاد سودون طاز إلى الإسطبل السلطاني على عادته وعظم أمره وزادت حرمته وصار له أتباع كثيرون من الأمراء والمماليك السلطانية.[4] وصار بذلك الأمير سودون طاز والأمير جكم ومعهم الأمير نوروز الحافظي هم أصحاب الحل والعقد في المملكة حتى سنة 804 هـ / 1402م، فقد ثقل الأمر على الأمير سودون طاز وأراد أن يستبد بالأمر والنهي وحده، فدبر في إخراجهما.[5]

وكان ذلك أمراً طبيعيا أن تحدث الفتنة بين سودون طاز وجكم لأنها طبيعة الأمراء المماليك الصراع على الحكم الذي لا يورث وإنما هو للأقوى والأكثر سيطرة على أمور الدولة؛ ولذلك سرعان ما وقع الخلاف بين سودون طاز وبين جكم من عوض ونوروز الحافظي فقد عظم شأن جكم في الدولة وهابه الأمراء والأعيان وحسنت سيرته، وأظهر العدل في الرعية وأصبح لديه جماعة من الأمراء.[6] ولذلك دبت عقارب الفتنة بين الأمراء الثلاثة وانقطع نوروز وجكم عن الخدمة وكثر تنافر الأمراء واختلافهم.[7] وكثر بين الناس القيل والقال. وخرج الأمير جكم ونوروز وغيرهم من الأمراء للحرب وطلعوا إلى الرملة، وألبس الأمير آخور كبير سودون طاز مماليكه آلة الحرب.[8] فلما تزايد القتال بين الأمراء، وقتل من العسكر جماعة كثيرة، ونزل

---

[1] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 62؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 314.

[2] قطلوبغا الكركي سمي بهذا الاسم لأنه كان بصحبة أستاذه الظاهر برقوق بالكرك، وعندما تسلطن الناصر قدمه ثم قبض عليه جكم من عوض وسجنه بالإسكندرية مع يشبك ثم أطلق سراحه وأعيد إلى تقدمته حتى في شعبان سنة 809هـ / 1407م وحضر الناصر جنازته. انظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج 6، ص 224.

[3] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 187؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 62؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 84؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 314؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 134.

[4] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 84.

[5] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 292؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 84.

[6] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 315.

[7] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 266 – 276؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 74؛ أبو المحاسن، النجوم، ج 12، ص 283.

[8] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 135؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 650؛ السخاوي، وجيز الكلام، ص 361.

إلى الإسطبل عند سودون طاز لقتال جكم ونوروز ومن معهم من الأمراء. ووقعت الحرب بينهم وبعث السلطان الناصر فرج الخليفة المتوكل على الله والقضاة إلى الأمير نوروز في طلب الصلح فوافق وخلع آلة القتال وتوقف جكم عن القتال.[1]

ولكن ذلك كان مكيدة من الأمير سودون طاز، فإنه خاف أن يغلب، ويسلمه السلطان إلى الأمراء، فأشار سودون طاز على السلطان بطلب الصلح. وتمت مكيدته، بعد ما كاد أن يغلب من نوروز وجكم، ولكن هذا الصلح على فساد وغش وصارت القلوب مليئة بالعداوة بين الأمراء. كما قيل:

أعدي عدوك أدني من وثقت به	فحاذر الناس واصحبهم على دغل
فإنما رجل الدنيا وواحدها	من لا يقول في الدنيا على رجل[2]

وسكنت الفتنة لفترة وتوجه السلطان والخليفة إلى بيوت الأمراء وحلف كل أمير على انفراد بالسمع والطاعة للسلطان وإخماد الفتنة.[3] وطلع نوروز إلى القلعة وخلع السلطان عليه ونزل جكم بغير خلعة، فحنق جكم من ذلك وثارت الفتنة أيضًا بعد أيام.[4] ولخوف جكم من غدر الأمير سودون طاز خرج جكم إلى بركة الحبش بمن معه من الأمراء وعادت الفتنة من جديد. وركب نوروز أيضًا ومعه مجموعة من الأمراء ولحقوا بجكم ونتيجة لذلك خرج السلطان وسودون طاز إليهم وقاتلهم وانتصروا عليهم، وأسر سودون طاز مجموعة من الأمراء أصحاب جكم، وهرب جكم ونوروز وجماعة من الأمراء إلى الصعيد. ورجع السلطان مع سودون طاز منصورين وقيد سودون طاز الأمراء وبعثهم إلى الإسكندرية. وتشتت الأمراء وترك الأمير نوروز الأمير جكم وطلب الأمان من السلطان فأمنه ووعده بنيابة دمشق.[5]

---

[1] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 67؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 284؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 77؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 650- 651.

[2] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 76؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 651.

[3] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 651.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج 6، ص 135؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1 ق 2، ص 651.

[5] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 77؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 285؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 315؛ السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ص 361؛ السخاوي، الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق، حسن إسماعيل مروة، الكويت: مكتبة دار العروبة و بيروت: دار ابن العماد، ط 1، 1992، ص 421؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 652- 653.

وقد اصطلح نوروز مع الأمير سودون طاز وكان هذا أيضًا من مكر وحيل سودون طاز فمشي ذلك عليه حتى حضر فاختل عند ذلك أمر الأمير جكم وتفرق عنه أصحابه، فطلب جكم الحضور ووصل باب السلسلة من الإسطبل السلطاني طمعًا في عرض السلطان له أن يتوجه بطالاً[1] إلى دمياط. فتسلمه عدوه الأمير سودون طاز. وقيد الأمير جكم، وحمل إلى الحراقة إلى الإسكندرية، فسجن بها حيث كان عدوه الأمير يشبك الدوادار مسجوناً.[2]

وتم الإفراج عن الأمير يشبك وأصحابه وقدموا إلى القاهرة.[3] وقبض على الأمير نوروز وأرسل إلى الإسكندرية وأنعم على الأمير يشبك الشعبانى بإقطاعه ثم استقر يشبك في الدوادارية على عادته عوضًا عن جكم.[4] وتصالح الأمير سودون طاز والأمير يشبك وأنقسم أمر الدولة بينهما.[5]

وربما كان الإفراج عن الأمراء الكبار من سجنهم حيلة من السلطان الناصر فرج، حتى يوقف طمع الأمير سودون طاز.[6] الذي أصبح واضحًا للجميع نتيجة طبيعية لما وصل له الأمير سودون طاز من مكانة في الدولة المملوكية في فترة السلطان الناصر فرج. وصفا الوقت والفرصة للأمير سودون طاز، حتى أنه لو أراد أن يتسلطن لتسلطن من غير منازع.

وأصبح الأمير سودون طاز هو المشار إليه في المملكة والمدبر للأمور, ولم يسع الأمير يشبك إلا الموافقة له في الظاهر أنه يؤتمر بأمر الأمير سودون طاز واحتمل يشبك ذلك حتى سنة 805 هـ / 1403م وفي نفس الوقت كان الأمير يشبك يتكلم في حق الأمير سودون طاز

---

[1] بطالاً، من الأمراء والأجناد العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعياتها والمراد بها أن يصير الشخص مسموحاً له أن يقيم حيث شاء، ويرتحل متي شاء، في أي مكان ويمنح مبلغاً معلوماً من المال ولا يتسلم إقطاعا ويصدر له بذلك تقليداً من السلطان وكانت تكتب لمن كبر سنه وضعفت قدرته أو لغضب السلطان أو اضطرارا إلى الاعتكاف والاختفاء أو لمجرد الانزواء والابتعاد.انظر: النويري، نهاية الأرب، جـ33، ص 10، هـ 1؛ القلقشندى، صبح الاعشي، جـ 13، ص 48 ؛المقريزي، الخطط، جـ4، ص 304، هـ 1؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ 10، ص 311، هـ 1؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ11، ص 278، هـ 5.

[2] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج4، ص 268؛ المقريزي، السلوك، ج6، ص 77؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج2، ص 84؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 286.

[3] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 135.

[4] ابن شبهة، تاريخ ابن شهبة، ج4، ص 269؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص 316؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 287؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 654.

[5] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج2، ص 84.

[6] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص 105.

عند السلطان الناصر فرج في الباطن ويخوفه منه ومن أطماعه.[1] فكان الحكم بيد المماليك السلاطين والأمراء يتبع بعضهم بعضاً ويقتل معظمهم أو يخلع أو يسجن إذ إنّ التآمر والاغتيالات والقتل والسجن هو القاعدة الأساسية في هذه الفترة.[2] فكل واحد من الأمراء يشاهد ما يحدث ويبحث عن وسيلة يقلب بها المعادلة وطريقة تضعه في المقدمة ليحقق أحلام جلوسه على منصة حكم المماليك، أو على الأقل تكون الأمور في الدولة تحت سيطرته ويكون هو المتحكم الأول في الدولة.

وكان ذلك طبيعيًا لكبار الأمراء المماليك من الذين تولوا الوظائف الكبرى في البلاط أو في الجيش من التحكم بنفوذهم في السلطان نفسه.[3] وهو ما كان يرغبه كلٌ من سودون طاز ويشبك وكانوا يستغلون السلطان للوصول لذلك. ولذلك كانت الساحة لا تتحمل كلا من الأميرين فكلا منهما يريد أن يكون هو الأول في الدولة.

فكان الصدام أمرًا طبيعيًا بين سودون طاز ويشبك خاصة بعد أن عرف الأمير سودون طاز بما قام به الأمير يشبك من تحفيز السلطان الناصر فرج ضده، وذلك أثار غضب الأمير سودون طاز ضد يشبك ولذلك نجد الأمير سودون طاز سنة 805 هـ / 1403م نزل من الإسطبل السلطاني بأهله وحاشيته وعزل نفسه عن الأمير آخور الكبير، وصار من جملة الأمراء.[4] وخرج الأمير سودون طاز بمماليكه وحواشيه إلى المرج والزيات خارج القاهرة، ونزل هناك ليقيم الفتنة.[5]

ويبدو أن الأمير سودون طاز عندما تخوف من نفوذ كلٍ من جكم ونوروز وخشي على مكانته ودبر في إخراجهما من مصر. وظن أنه بذلك ينفرد بأمور الدولة، ولكن وجود الأمير يشبك وخروجه من حبسه وظهوره على مسرح الأحداث من جديد هو وجماعته وبمجيئهم انحصر نفوذ سودون طاز وزادت سيطرتهم وتحكمهم في الدولة وشعر الأمير سودون طاز بتلاشي أمره،[6] إذا استمر الوضع على ذلك. فقام بتدبير مكيدة وفتنة جديدة يتخلص بها من غرمائه الجدد حتى

---

[1] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 136؛ ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج4، ص 377.

[2] المقريزي، درر العقود الفريدة، ج4، ص 28.

[3] عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (دراسة شاملة للنظم السياسية)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964، ص 31.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 291؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 104 – 105؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 660 – 661.

[5] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 82؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 291.

[6] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83.

يستعيد مكانته، فكان صعب عليه أن يشعر أنه مملوك أو أمير مثل باقي الأمراء دون أن يسيطر على الأحداث داخل الدولة ويكون السلطان تحت تأثيره مثل قبل.

ولأن الأمير سودون طاز عزل نفسه من آخور الكبير دون أن يرسم له السلطان فرج بذلك، لما بلغه من كلام يشبك في حقه عند السلطان.[1] فأرسل له السلطان الأمير قطلوبغا الكركي يأمره بالعودة إلى إمريته، من غير إقامة فتنة، وإن أراد أن يستقر نائب البلاد الشامية فيختار من نيابات السلطنة ويرسل له السلطان الخلعة فامتنع الأمير سودون طاز وطلب من السلطان أن يخرج آقباي طاز الكركي أولاً إلى بلاد الشام وبعدها يصبح سودون طاز في طاعة السلطان.[2] فلم يوافق السلطان على إخراج آقباي طاز الكركي.[3]

وكان العداء بين الأمير سودون طاز وبين الأمير آقباي طاز الكركي قديمًا فكان الأمير آقباي يقول " طاز واحد يكفي مصر، فأنا طاز وهو طاز(يقصد سودون طاز) ما تحملنا مصر".[4] وكان يعرف عن الأمير آقباي الكركي أنه من الأشرار، كثير الفتن.[5] ولذلك صار الأمير آقباي ينصب لسودون طاز المكايد والشبك ويحفر له المعاطب والشرك حتى أوقعه في هذه الفعلة طمعًا منه في أن يستقر في وظيفته ويجلس موضعه.[6]

ولذلك اتفق كلٌّ من آقباي طاز الكركي بكره وعداوته للأمير سودون طاز مع طمع وطموح الأمير يشبك في إبعاد سودون طاز والتخلص منه لوضع الأمور تحت سيطرة يشبك لوحده لأنه بوجود شخصية مثل الأمير سودون طاز لن يستطيع أن يتحكم في زمام الأمور في الدولة ويتحكم في السلطان.

وفي الحقيقة أن الظروف ساعدت الأمير يشبك في تحقيق ما يرغب فيه فكان الأمير آقباى طاز الكركي من حزب الأمير يشبك.[7] وأيضاً نتيجة للعلاقة السيئة بين الأمير سودون طاز والأمير آقباى ما جعل الأمير سودون طاز يرفض طلب السلطان في رجوعه لوظيفته قبل

---

[1] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 136.

[2] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 297؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 662.

[3] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 154؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج 2، ص 231؛ المقريزي، السلوك، ج6، ص 83.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 292.

[5] ابن تغري بردي، النجوم، ج 13، ص 31.

[6] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 153.

[7] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 317.

خروج آقباى من مصر، ورغم تكرار طلب السلطان إلا أن سودون طاز كان مصمما علي ما قال.[1] ولذلك فقد كان دعم السلطان له.

وكان الأمير سودون طاز يظن أن أمره سيقوي ويظفر من الأمير يشبك كما قبض عليه أول مرة، فجاء حساب الدهر غير حسابه. وعزله السلطان وولي الأمير اينال باي بن قجماس في وظيفته وطلع إلى باب السلسلة على العادة. ثم بعث السلطان الناصر فرج إلى الأمير سودون طاز الأمير قطلوبغا الكركي يأمره بالعودة إلى القاهرة على إقطاعه من غير وظيفة وبرفضه تأكد الناصر فرج من عصيان الأمير سودون طاز.[2]

وفي نفس الوقت كان كلٌ من الأمير يشبك والأمير آقباى طاز الكركي يدبرون المكائد للتخلص من سودون طاز واتفقا عليه جميعاً، وظاهراهما السلطان في الباطن، حتى يتلاشى أمره. وظلا في التدبير عليه حتى نزل سودون طاز من الإسطبل السلطاني خوفاً على نفسه من كثرة جموع الأمير يشبك الدوادار، وجرأة الأمير آقباي طاز الكركي وميل السلطان معهم عليه. وكان الأمير سودون طاز يأمل في أن يناصره السلطان ولكن لم يلتفت إليه السلطان. وأقام هذه المدة من جملة الأمراء.[3] وهذا ليس غريبًا فقد تخلي السلطان من قبل عن مساعدة الأمير يشبك.[4]

فقد لعبت الوشاية دوراً كبيراً في الإيقاع برجال الدولة وخاصة لو وصل إلى مكانة مرموقة فكان الاتفاق عليه أكثر سهولة لتخلص الأمراء منه.[5] وكثيرًا ما استغل الأمراء الأحداث الداخلية والخارجية ليثبوا على عرش الدولة والسيطرة على الأوضاع.[6]

فكل ما وصل له الأمير سودون طاز كان بسبب تغير خاطر السلطان الناصر فرج وسوء ظنه به وتخوفه من طمعه وطموحه، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة العصر المملوكي الذي اتسم بالتنافس والتحاسد بين الأمراء الذين سعوا إلى الإيقاع ببعضهم البعض لدي السلاطين

---

[1] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 83؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 662.

[2] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 154؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 82؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 137.

[3] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 317؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 292.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 275- 276.

[5] البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص 79.

[6] شريفة بنت ردة، الأمراء المماليك، ص 153.

بالوشايات التي تصل إلى السلاطين الذين بطبيعة الأمر يتخوفون من زوال عروشهم على يد الأمراء وخاصة المقربين منهم.[1]

وما وصل إليه الأمير سودون طاز من مكانه مرموقة في الدولة المملوكية في عهد السلطان الناصر فرج وأصبح صاحب كلمة مسموعة ومكانه يحسده عليها الأمراء المماليك. وهذا ما جعل السلطان يشعر بالخوف والريبة من الأمير سودون طاز لتزايد نفوذه وصار إليه المرجع في غالب أمور الرعية.[2]

فقام السلطان الناصر فرج بإرسال الأمير جمقق الدوادار أمير الطبلخاناه، واستقر في نيابة الكرك وخلع على الأمير علان الأقطع أحد المقدمين واستقر في نيابة حماه وبغير رضاهم بقصد قص أجنحة الأمير سودون طاز فكانا من أعوانه.[3] وبذلك أبعد أصدقاء وأعوان الأمير سودون طاز عنه حتى يضعف ويتم التخلص منه.

وكان من الصعب أن يصدق الأمير سودون طاز ما يحدث له بعد المكانة التي وصل لها في الدولة فشق عليه عدم تحكمه في الدولة وكفه عن الأمر والنهي.[4] وكان اعتاد ذلك وله كلمة مسموعة، ورغم تردد الأمراء عليه لطلب السلطان لعودته إلى وظيفته فلم يوافق،[5] ظناً منه أنه سوف ينتصر عليهم ويستبد بأمور الدولة[6] لوحده ويعود إلى ما كان عليه بل أعظم منه.[7]

ولذلك لم يجد الأمير سودون طاز أمامه إلا أن يخرج بمماليكه وحواشيه من المماليك السلطانية في زيادة على ألف نفر، ظناً منه وطمعاً أن يأتيه غالب المماليك السلطانية لما له عليهم من إحسان زائد عن الوصف.[8] فكان الأمير سودون طاز يعمل سماط في اليوم ألف رطل

---

[1] شريفة بنت ردة، الأمراء المماليك، ص 113- 114.

[2] السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 3، دار الجبل، بيروت، د. ت، ص 280.

[3] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 146.

[4] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 293.

[5] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 296.

[6] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 293.

[7] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 154.

[8] السخاوى، الضوء اللامع، ج 3، ص 280؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 137؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 293.

من الضأن خارجًا عن الدجاج والإوز والرمسان من الضأن لمزيد كرمه وكثرة إنعامه على المماليك السلطانية وغيرهم بحيث قيل أن رغده عم جميعهم.[1]

فتوجه الأمير سودون طاز إلى جهة سرياقوس وأقام هناك على أمل أن يأتيه من بقي من المماليك السلطانية، فلم يأته أحد[2] غير أصحابه الذين خرجوا معه[3] وفقد في نفس الوقت وظيفته وانقلب عليه السلطان والأمراء.

واستعد السلطان بتحصين قلعة الرميلة ليخرج لقتال الأمير سودون طاز.[4] ولبسوا للحرب فلما سمع سودون طاز بذلك رحل من مكانه ومن معه من المماليك السلطانية خمسمائة نفر ممن كانوا ينتمون إليه وصحبه الأمير قنباي وكان ظهر واجتمع به من عشرة أيام وأخذوا من طريق سرياقوس، وداروا إلى أن دخلوا القاهرة.[5] وأراد الأمير سودون طاز تملك باب السلسلة فلم يستطع,[6] وأما السلطان فقد سار خلفه إلى جهة بلبيس,[7] ظناً منه أن سودون طاز توجه إلى البلاد الشامية، ولما بلغ السلطان خبرهم عاد نحو القاهرة بعد مشقة، وطلع إلى القلعة وقعد بالمقعد من الإسطبل المطل على الرميلة وسوق الخيل، وندب الأمراء والمماليك لقتال سودون طاز، فقاتلوه في الأزقة طعناً بالرماح ساعة، فلم يستطع الاحتمال والمقاومة وانهزم، وجُرِحَ من الفريقين كثيرٌ وتفرق من كان مع الأمير سودون طاز، وبات السلطان على تخوف.[8]

وفر سودون طاز بعد هزيمته هو وصديقه قنباي منهزمين، وتنفل عنهما من كان معهما ودخلوا القاهرة وتوزعوا وتفرقوا في الحارات متعبين، ولما أصبح الصباح ولم يسمع لهم حس ولا خبر.[9] والغريب أن الأمير سودون طاز ذهب إلى بيت يشبك ومعه ثلاثة من الأمراء فقابله

---

[1] السخاوى، الضوء اللامع، ج 3، ص 280.

[2] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 296؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 137.

[3] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 293.

[4] ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العمر، ج 2، ص 231.

[5] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 155؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 83؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 137، ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 662.

[6] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 83.

[7] بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 294. وتقع الآن ضمن دائرة محافظة الشرقية.

[8] ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج 2، ص 231؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 84؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 294.

[9] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 155؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 84؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 138.

يشبك وبالغ في إكرامه وأنزله عنده، ولما أصبح الأمير سودون طاز كتب وصيته بما له وما عليه.[1]

وطلب الأمير يشبك من السلطان الناصر فرج أن يعطي الأمير سودون طاز نيابة صفد. فامتنع السلطان، ثم طلب منه أن يتوجه إلى دمياط، وامتنع السلطان إلا أن يحبس بسجن الإسكندرية، ثم الأمير يشبك والأمراء سألوا السلطان في إرسال الأمير سودون طاز إلى دمياط ومعه أهله فأجابهم بالموافقة، فأركبه الأمير يشبك مركوباً من مراكيبه بسرج ذهب.[2] ثم أنزله الأمير يشبك في الحراقة وحمل إلى دمياط بطالا، وركب معه إلى أن أوصله إلى البحر، وسار هو وأهله إلى دمياط. ورتب له ما يكفيه وأنعم يشبك على الأمير سودون طاز بألف دينار ذهباً، مكافأة له على ما كان من سعيه في إخراجه من سجن الإسكندرية وعودته إلى رتبته.[3]

فلولا مساعدة الأمير يشبك للأمير سودون طاز وتشفعه له عند السلطان ما كان إلا مسجونًا بالإسكندرية، والعجيب هو موقف الأمير يشبك ومساعدته لسودون طاز رغم أنه كان من الطبيعي أن يتخلص منه حتى تنتهي الفتنة تماماً ويصبح هو الرجل الأول في الدولة بعد السلطان. خاصة بعد ما أشيع أن السلطان رسم بقتله لتأديبه.[4] ولكن الخير الذي فعله الأمير سودون طاز مع الأمير يشبك شفع له عند الأمير يشبك. بالإضافة أن الأمير يشبك تأكد من القضاء على الأمير سودون طاز نهائيًا ولم يعد يستطيع أن يرجع لمكانته من جديد. وأما رفيقه قنباي فإنه اختفي ولم يعرف له خبر.[5] حتى تم القبض عليه وإرساله مقيداً إلى الإسكندرية للاعتقال.[6]

ولكن طمع الأمير سودون طاز وتطلعه إلى إعادة مجده وقوته ونفوذه وسيطرته على أمور الدولة من جديد جعله يقوم بالعصيان على السلطان للمرة الثانية، وكأنه لم يصدق ما وصل له وأن نجمه قد أفل ولم يكن يستطيع أن يعيد ما سبق. ولذلك خرج الأمير سودون طاز من دمياط

[1] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 156؛ ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 83.

[2] ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 297 – 298.

[3] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 83؛ ابن شهبة، تاريخ ابن شهبة، ج 4، ص 298؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 84؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 138 – 139؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 663؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج 3، ص 280.

[4] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 156.

[5] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 139.

[6] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 160.

وقدم إلى الشرقية، وخرج إليه جماعة من المماليك السلطانية وأقاموا الفتنة هناك وقوي أمرهم.[1] وقصد الأمير علم الدين بن بقر بالشرقية ليتوجه به إلى الشام[2] معتقداً فيه المساعدة، فأنزله وأكرمه، وبعث من ورائه يعلم الأمير يشبك أنه عنده.[3]

ولما بلغ السلطان خروج سودون طاز من دمياط، ندب إليه جماعة من الأمراء وفي نفس الوقت تظاهر علم الدين بن بقر أنه يساعده للخروج إلى الشام.[4] وظل علم الدين يعطل الأمير سودون طاز حتى يدركه العسكر السلطاني وتم القبض عليه وعادوا به إلى القاهرة مقيدًا ومعه عدة من المماليك السلطانية.[5]

ثم حكم على خمسة من المماليك السلطانية ممن كانوا مع الأمير سودون طاز بالتسمير، فاجتمع المماليك من أصحابهم لإقامة الفتنة بسبب ذلك فشفع الأمراء فيهم عند السلطان فأطلقهم من التسمير ثم قيدهم وحبسوا في خزانة شمائل، ما عدا سودون الجلب، فإنه سافر إلى الإسكندرية ثم نفي إلى قبرص من بلاد الفرنج.[6]

ولعدم تسمير السلطان لهؤلاء المماليك سكنت الفتنة.[7] ثم حمل الأمير سودون طاز مقيداً في الحراقة إلى الإسكندرية، وسجن بها,[8] وندب السلطان الأمير آقبردي وتنبك – كلاهما أمير عشرة ومعهم ثلاثون نفرًا من المماليك السلطانية فقدموا الإسكندرية وأخرجوا الأمير نوروز الحافظي، وجكم من عوض، وقنباي رفيق الأمير سودون طاز، ومعهم الأمير سودون طاز وأنزلوهم

---

[1] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 160؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 86؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 139؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج 3، ص 281.

[2] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 86؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج 2، ص 232.

[3] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 160.

[4] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 86؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 296.

[5] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 86؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج 2، ص 232؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج 3، ص 281؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 296؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 139- 140.

[6] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 160؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج 2، ص 232؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 86؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 297؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 140؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 665.

[7] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 86.

[8] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 161؛ ابن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص 81؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 297؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 665.

مقيدين، وساروا بهم إلى البلاد الشامية,[1] للاعتقال بها ولما وصلوا إلى ساحل بلاد الشام وخرجوا حبس نوروز وقنباي بقلعة الصبيبة وحبس جكم بحصن الأكراد[2] من طرابلس، وحبس الأمير سودون طاز في قلعة المرقب[3] تحت حكم طرابلس، ولم يبق بالإسكندرية غير الأمير سودون من زاده وتمربغا المشطوب.[4] ثم حول جكم إلى حصن المرقب أيضًا.[5] واستقر بها هو والأمير سودون طاز في الاعتقال.[6] وفي سنة 806 هـ / 1403م هرب الأمير قنباي من سجن الصبيبة وفر فلم يعلم له خبر.[7]

ومن هذا كان باستطاعة الأمير سودون طاز وجكم من إقامة فتنة من جديد لإرجاع مكانتهم في الدولة المملوكية ولذلك احتل الموقف أحد الأمراء وهو دمرداش المحمودى نائب طرابلس في بلاد الشام كلا من الأمير سودون طاز والأمير جكم للعصيان. حيث أن الأمير دمرداش المحمدي سبق له عصيان السلطنة المملوكية ثم عفي عنه السلطان الناصر فيما بعد وعينه في نيابة طرابلس. أراد أن يقتص لنفسه من الأمير دقماق الذي أرسله السلطان ليتولى نيابة حلب عوضاً عن دمرداش المحمدي في فترة عصيانه والقضاء عليه غير أن دمرداش استطاع هزيمة دقماق سنة 804 هـ / 1401 م. وفر دقماق إلى دمشق وطلب المعونة من البلاد الشامية لمساندته ضد دمرداش المنشق على السلطنة المملوكية. وبالفعل تمكن دقماق من هزيمة دمرداش المحمدي وطرده هو وأعوانه إلى بلاد التركمان. وبذلك ملك دقماق حلب ولكن السلطان عفا عن دمرداش سنة 805 هـ / 1403 م، وعينه نائبًا لطرابلس.

---

[1] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 87؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 140؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 298.

[2] حصن الأكراد، أو حصن الكرك أو قلعة الحصن من الحصون المنيعة بين بعلبك وحمكما جاء في ياقوت الحموي، وقد لعب هذا الحصن دور هاماً في تاريخ هذه البقعة فقد اتخذته الإسبتارية مركزاً لها بعد الاستيلاء الصليبي وسمي بحصن الفرسان عندهم. انظر: الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 163، هـ 1.

[3] قلعة المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس، عمرها المسلمون سنة 454 هـ. انظر: السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ص 434، هـ 1.

[4] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 163، هـ 1.

[5] الصيرفي، نزهة النفوس، ج 2، ص 162؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 105؛ بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)، تحقيق، فهيم محمد سلتوت، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003، ص 245، هـ 3.

[6] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 86؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 684.

[7] ابن إياس، بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 684.

ويبدو أن السلطنة المملوكية توجست خيفة من الجموع التي اجتمعت حول الأمير دقماق، فأرادت أن تقضي عليها قبل أن يستفحل خطرها فأرسلت سنة 806 هـ / 1043 م الأمير قنباي التمربغاوي من مصر لإحضار دقماق وعزله عن نيابة حلب ولكنه لم يوفق وعاد إلى مصر وأصبح الجو مهيئًا لدقماق فاستولي على حلب بمن معه من التركمان.[1]

وباستعراض الثورات يلاحظ أن معظم النواب الذين ثاروا ضد السلطنة الملوكية استغلوا الظروف الحرجة التي كانت تمر بها السلطنة المملوكية من ضعف السلطان أو صغر سنه مما كان يثير حقد نواب حلب الذين اعتبروا أنفسهم لا يقلون مكانة عن أولئك الأمراء المسيطرين على السلطنة المملوكية بالقاهرة. فقد كان يشجع هؤلاء النواب في ثوراتهم بعض الأمراء الهاربين من وجه السلطنة المملوكية مما يساعد على ازدياد لهيب الثورة.[2]

وهذا ما استغله الأمير دمرداش المحمدي سنة 806 هـ / 1403 م، وشجعه أن يقتص لنفسه من الأمير دقماق والقضاء على حركته الثورية ضد السلطنة المملوكية، ففك أسر بعض الأمراء من ذوي الشكيمة من سجن طرابلس مثل الأمير جكم والأمير سودون طاز وتوجه بهما ومن معه من العسكر لطرد دقماق من نيابة حلب.[3]

وفي هذا التوقيت كان السلطان أرسل الأمير إينال المأمور بقتل الأمراء المسجونين بالبلاد الشامية. ولكن أطماع الأمير دمرداش المحمدي كانت أسرع فأخرجهما من السجن.[4] وخرج الأمير دمرداش المحمدي بالأمير سودون طاز والأمير جكم لقتال التركمان فانهزم وفر جكم إلى حماة؛ واتفق دقماق مع جكم وساروا في جماعة لاستكمال العصيان ولكن السلطان بعث لدقماق يخبره في أي مكان شاء فاختار نيابة دمشق ومن ثم قضي على حركة دقماق وسكنت الفتنة.[5] وملك الأمير جكم حلب.[6]

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم، ج 2، ص 306.

[2] عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (923-648 هـ / 1250 – 1517 م)، ج 2، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2000، ص 144.

[3] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 104؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 113؛ بدر الدين العيني، السيف المهند، ص 245، هـ 3؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 4، ص 316؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 306.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 303.

[5] المقريزي، السلوك، ج 6، ص 113؛ السخاوي، الذيل التام على دول الإسلام، ص 434؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 306.

[6] ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص 306.

وكانت هذه الفتنة أخر مرحلة من مراحل حياة الأمير سودون طاز حيث قتل في معركته مع التركمان سنة (806 هـ / 1403 م).[1] وبذلك كانت نهاية الأمير سودون طاز لعصيانه للسلطان الناصر فرج وانتهت أحلامه في السيطرة على الدولة المملوكي.

الخاتمة:

لم تكن العلاقة بين المماليك سواء كانت جيدة مثل الخشداشية أو سيئة كالتنافس بين الأمراء إلا صورة بسيطة لحياة المماليك في مصر. حيث كان الأمراء إذا زاد نفوذهم وربما علي السلطان نفسه كان طموحهم قتل أو إزاحة السلطان. أما إذا كان نفوذهم قد زاد وهناك منافسين لهم وذلك في وجود سلطان ضعيف فتكون الأحداث دامية مما يجعل الدولة تقع في آتون الصراعات المميتة بين هؤلاء المماليك.

ولم يكن سودون طاز إلا صورة من هؤلاء المماليك الذين زاد نفوذهم واستعظم وكان في نفس الوقت منافسيه من كبار المماليك مع وجود السلطان الناصر فرج الذي تميز عهده بكثرة الصراعات الدامية بسبب مماليك أبيه الكبار الذين تركهم بمناصب عالية في الدولة وهو في نفس الوقت سلطان صغير السن.

وكانت قصة صراع سودون طاز للوصول للحكم أو للحكم من وراء ستار السلطان الضعيف إلا جزء بسيط من تاريخ الدولة المملوكية إلا أنه معبر تماما عما كانت عليه أحوال الدولة حتى انتهت بالضعف والانهيار.

---

[1] ابن شاهين، نيل الأمل، ج 1، ق 3، ص 104؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج 3، ص 281؛ المقريزي، السلوك، ج 6، ص 109؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ج 2، ص 105؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 6، ص 141.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

– ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني، (524 –617هـ - 1130 –1220م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين: تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط1، فرانتشتايز شتوتغارت، 1992م.

Ibn al-Ṭawīr, Nuzhat al-Muḳlatayn fī Akhbār al-Dawlatyn, ed. A. F. Sayyed, Stuttgart, 1992.

– ابن العماد، شهاب الدين بن الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، (ت 1089هـ/ 1628م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1991 م.

Ibn al-ʿEmād, Shazrāt al-Dhb fī Akhbār man Dhab, ed. M. al-ʾArnaoūt, Damascus, 1991.

– ابن إياس، (محمد بن اياس الحنفي المصري (ت930هـ / 1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، تحقيق: محمد مصطفى، ط1، دار إحياء الكتب العربية 1975م.

Ibn Iyās, Bdāʾiʿ al-Zuhūr fī Wḳāiʿ al-Duhūr, ed. M. Mouṣṭafa, Cairo 1975.

– ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م.

Ibn Taghrī Birdī, Al-Nujūm al-Ẓāhirah fī Mulūk Miṣr wa-l-Ḳahirah, Cairo 2008 .

– ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي (ت 874هـ/ 1470) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1990 م.

Ibn Taghrī Birdī, Al-Manhal al-Ṣāfī w-al-Mostawfī baʿda al-Wāfī, ed. M. M. Amen, Cairo 1990.

– ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، (ت852هـ/ 1488م)، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة. 1998م.

Ibn Ḫajar al-ʿSḳlānī, Inbāʾ al-Ghumr bi-Anbāʾ al-ʿUmr, ed.: Ḫ. Ḫabashī, Cairo ,1998.

– ابن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة في أعيان المائة التاسعة، تحقيق: أحمد فريد المزيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

Ibn Ḫajar al-ʿSḳlānī, Zayl Adurar al-Kāmenah fī Aʿyān al-Māʾah al-Tāsiʿah , ed. A. F. Al-Mazīdī, Beirut, 1992.

– ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ / 1409م)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1982م .

Ibn Duḳmāḳ, Al-Gawhar al-Thamīn fī Seyar al-Kẖulafāʾ wa-l-Mulūk wa-al-Salāṭīn, ed. S. A. ʿAshour, Cairo 1982.

– ابن زنبل، الشيخ أحمد الرمال، آخرة المماليك، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1998م.

Ibn Zunbol, Ākhrit al-Mamālīk, ed. ʿA. ʿAmer, Cairo 1998.

– ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي، (844-920هـ) نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، حـ1، ق2، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002م.

Ibn Shāhīn, Nayl al-ʾAmal fī Zayl al-Dwal, ed. ʿO. ʿA. Al-Tadmorī, Beirut, 2002.

– ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين (ت 873هـ - 1468م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه: بولس راويس، دار العرب للبستان، القاهرة، 1988 م.

Ibn Shāhīn, Zubdat Kashf al-Mamālik wa Bayān a-Ṭuruḳ wa-l-Msālik, ed. B. Rāwīs, Cairo, 1988.

– ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق، عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976 م.

Ibn ʿAbd al-ẓāhr, Al-Rawḍ al-Zāhir fī Sīrat al-Malek al-Ẓāher, ed. ʿA. al-khowayṭe, Riyadh, 1976.

– ابن فضل الله العمري، (القاضي ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي (700هـ - 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي نجم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.

Ibn Faḍlallāh al-ʿEmarī, Msālik al-ʾAbbṣār fī Mamālik al-ʾAmṣār, ed.: M. Nigm, Biuret 2005.

– ابن كنان، محمد بن عيسى بن كنان، (1074هـ - 1153م) حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، دمشق: دار النفائس، ط1، 1991م.

Ibn Kenān, Ḥdāʾeḳ al-Yāsmīn fī Dhkr Ḳawānīn al-Khulafāʾ w-al-Salāṭin, ed. ʿA. Ṣaabbāgh, Damascus 1991.

– أرتو إسرايليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (648 - 784 هـ/ 1250–1381م)، دمشق 2007 م.

A. Isrāʾelyān, Fann al-Ḥarb fī al-ʿAṣr al-Mamlūkī al-ʾAwwal bayn al-Naẓaryyah w-al-Taṭbīḳ, Damascus, 2007.

– آمال العمري: دراسة لبعض وثائق تتعلق ببيع وشراء الخيول في العصر المملوكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1964 م.

Ā. al-ʿEmarī, "Derāsat le-baʿḍ Wthāʾiḳ tataʿalaḳ bi-Bayʿ wa-Sherāʾ al-Khoyūl fī al-ʿAṣr al-Mamlūkī," *Journal of the Institute of Arabic Manuscripts* (1964).

– أنور زقلمة، المماليك في مصر، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995 م.

A. Zaḳlamh, Al-Mamālik fī Misr, Cairo 1995 .

– أنور محمود زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، دار زهران، عمان، 2011 م.

A. M. Zanātī, Muʿjam Muṣṭlaḥāt al-Tārīkh wa-l-Haḍārah al-Islāmiyah, Amman 2011 .

– بدر الدين العيني، تحقيق، فهيم محمد شلتوت، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003.

B. Al-Dīn Al-ʿAynī, ed. F. M. Shaltūt, Cairo 2003.

– بدر الدين العيني، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة، تحقيق، إيمان عمر شكري، مكتبة مدبولي، 2002 م.

B. Al-Dīn Al-ʿAynī, Al-Sulṭān Barḳūḳ, ed. I. ʿU. Shukrī, 2002.

– بن شهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد بن عمر بن محمد الدمشقي، (ت851هـ/ 1447م) تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق، 1977م.

Ibn Shuhbah, Tārīīkh ibn Ḳāḍī Shuhbah, ed. ʿA. Darwish, Damascus, 1977.

– بيبرس الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار (ت 725هـ / 1325م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة 648، 711 هـ)، نشره ووضع له فهارسه وقدم له، عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1987.

Baybars al-Dawdār, Al-Tuḥfhah al-Mamlūkiyyah fī al-Dawlah al-Turkiyah, Cairo 1987.

– البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997 م.

A. Ismāʿeīl, Muṣādart al-ʾAmlāk fī al-Dawlah al-Islāmiyah, Cairo 1997.

– جيمس واترسون: فرسان الإسلام وحروب المماليك، ترجمة يعقوب عبد الرحمن، ألقاهرة: المركز القومي للترجمة ،2011م .

J. Waterson, Fursān al-Islām wa-Ḥurūb al-Mamālīk, Arabic trans. Y. ʿAbd al-Raḥmān, Cairo 2011.

– حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

Ḫ. Al-Bāshā, Al-funūn al-Islāmiyah wa-l-Waẓāʾif ʿala al-Āthār al-ʿArabiyah, Cairo n.d.

– السخاوي، الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين ابي الخير محمد بن عبد الله بن محمد السخاوي، (831 –902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: دار الجبل، د.ت.

Al-Sakhāwī, Al-ḍawʾ al-Lāmiʿ li-ʾAhl al-Ḳarn al-Tāsiʿ, Beirut n.d.

– السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق، بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، د.ت.

Al-Sakhāwī, Wagīz al-Kalām fī al-Zayl ʿala duwal al-Islām, ed. B. ʿAowād and others.

– السخاوي، الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروه، مكتبة دار العروبة، الكويت، دار بن العماد، بيروت، 1992م.

Al-Sakhāwī, Al-Zayl al-Tāmm aʿla diwal al-Islām, ed. Ḫ. I. Marwah, Beirut, 1992.

– سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة: دار النهضة العربية، 1972م.

S. A. ʿAshour, Al-ʾAyyubyīīn wa-l-Mamālik fī Misr w-al-Shām, Cairo 1972 .

– سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2002 م.

S. M. Noʿaynaʿ, Al-Ḥurūb al-Ṣaliybiyah al-Mutaʾakhirah, Cairo 2002.

– السيد الباز العريني: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م.

A. A. Al-ʿArinī, Al-Mamālik, Beirut, 1967.

– شافع بن على بن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض 1989 م.

Shāfiʿ b. ʿAlī b. ʿAbbās, Ḫusn al-Mnāḳib al-Sirriyah al-Montazaʿah men al-Sīrah al-Ẓāhriyah, ed. ʿA. al-Khowayṭer, Riyadh 1989.

– شريفة بنت ردة بن عطية المالكي: الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر المماليك البحرية (648- 784هـ / 1250- 1382م) رسالة ماجيستير، جامعة أم القرى، 2006م.

S. R. Al-Mālkī, Al-Umarāʾ al-Mamālik fī al-Qāhirah kẖilāl ʿAṣr al-Mamālik al-Baḥriyah, MA thesis, Umm Al-Qura University, 2006.

– الصيرفي، الخطيب الجوهري بن على بن داود (ت 879 هـ / 1475 م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، تحقيق، حسن حبش، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1970 م.

Al-Ṣayrafī, Nuzhat al-Nufūs w-al-ʾAbdān fī Tawārikẖ ʾahl al-Zamān, ed., Ḫ. Ḫabashī, Cairo 1970.

– عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (1250- 1517 م)(648-923)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000 م.

ʿA. ʿA. Ḫamzah, Niyābat Ḫalab fī ʿAṣr Salāṭīn al-Mamālik ,Cairo 2000 .

– عبد الله عطية عبد الحافظ، معجم أسماء السلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام، القاهرة: دار النيل، د.ت.

ʿA. ʿA. ʿAbd al-Ḥāfiẓ, Muʿjam Asmāʾ al-Salāṭīn w-al-Umarāʾ al-Mamālik fī Misr w-al-Shām, Cairo n.d.

– عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (دراسة شاملة للنظم السياسية)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964 م.

ʿA. Māgid, Nuẓum Dawlit Salāṭīn al-Mamālik wa-Rusumehim fī Misr, Cairo, 1964 .

– عثمان على عطا، مجالس الشورى في عصر سلاطين المماليك (648 -923 هـ / 1250 – 1517 م)، القاهرة، الدار الثقافية، 2008م.

ʿO. ʿA. ʿAṭa, Majales al-Shūra fi ʿAsr Salāṭīn al-Mamalīk, Cairo 2008.

– قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2014م.

ḳ. ʿA. Ḳāsem, Tārīkẖ al-ʾAyyubyīīn w-al-Mamālik, Cairo 2014.

– قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ط1، دار الشروق، 1994م.

ḳ. ʿA. Ḳāsem, ʿAsr Salāṭīn al-Mamalik, Cairo, 1994.

– القلقشندي، (أبي العباس أحمد ت821هـ - 1418م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1914.

Al-Ḳalḳashandī, Ṣubḥ al-Aʿsha fī Ṣenāʿt al-Inshā, Cairo 1914 .

– القلقشندي، (أبي العباس أحمد ت821هـ - 1418م)، ضوء الصبح المسفر وجنى الروح المثمر (مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا): تحقيق: محمود سلامة، ط1، القاهرة: مطبعة الوعظ، 1906م.

Al-Ḳalḳashandī, Dawʾ al-Ṣubḥ Al-Musfer wa-Janā al-Rūḥ al-Muthmer, ed. M. Salāmah, Cairo 1906.

– الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

Al-Kutubī, Fawāt al-Wfīāt wa-l-Zayl ʿAlayhā, ed. I. ʿAbbās, Beirut n.d .

– محاسن الوقاد: صرغتمش الناصري، الأمير الحاكم، دراسة السيرة الذاتية، 737-759هـ / 1336- 1357م، المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، العدد الخامس والعشرون، يناير 2002م. ص 105 – 167.

M. Al-Wḳḳād, "Sorghotmosh al-Nāṣirī, (737 – 759 H / 1336 – 1357 AD)," Almuʾrrikẖ al-Maṣrī, Cairo Univ. 25 (Jan 2002), 105 –167.

– محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990.

M. A. Dahmān, Muʿjam al-ʾal-Fāẓ al-Tārīkẖiyah fī al-ʿAṣr al-Mamlūkī, Beirut, 1990.

– محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

M. G. Srour, Dawlit banī Qlāown fī Miṣr, Cairo n.d.

– محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، بيروت: دار النفائس، ط1، 1997م.

M. S. Ṭaḳḳoush, Tārīkẖ al-Mamālik fī Miṣr wa-Bilād al-Shām, Biuret 1997.

– محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2004م.

M. ʿA. ʿAbd al-ʿZīz, Tārīkẖ Al-ʾAyyubyīīn wa-l-Mamālik, Cairo, 2004.

– مصطفي عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م

M. ʿA. al-Kẖaṭīb, Muʿjam al-Muṣṭlaḥāt wa-l-al-Ḳāb al-Tārikẖiyah, Biuret 1996 .

– مفيد الزيدى، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر المملوكى (648 –923هـ/1258 – 1517م)، دار أسامة، الأردن، عمان، 2009م.

M. Al-Zaydī, Mawswʿt al-Tārīkẖ al-Islāmi, Al-ʿAṣr al-Mamlūkī 648 – 923 H / 1258–1517), Amman ،2009AD.

– المقريزي، تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر، (766 – 845 هـ / 1365 –1441م) إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق، كرم حلمي فرحات، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007.

Al-Maḳrizī, Taḳyy al-Dīn Aḥmad, Ighāthet āl-Ummah bi-Kashf al-Ghummah, ed. Karam Helmī Faraḥāt, Cairo 2007.

– المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998 م.

Al-Maḳrizī, Al-Mawāʿiẓ w-al-Iʿtibār fī Zikr al-Kẖiṭaṭ w-al-ʾAthār, ed. M. Zinhum and M. Al-Sharḳāwy, Cairo 1998.

– المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، القاهرة.

Al-Maḳrizī, Durar al-ʿUḳūd al-Farīdah fī Trājim al-ʿAyān al-Mufīdah, ed. M. al-Jalīlī, Cairo.

– المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

Al-Maḳrizī, Al-Sulūk le-Maʿrifat Duwal al-Mulūk, ed. M. ʿA. ʿAṭā, Beirut, 1997.

– منال محمد السيد، تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الكتب والوثائق القومية، د.ت.

M. M. Al-Sayyed, Tārīkẖ Al-ʾAyyubyīīn w-al-Mamālīk, Cairo, n.d.

– نبيل محمد عبد العزيز، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1976م.

N. M. ʿAbd al-ʿAzīz, Al-Kẖayl wa-Ryāḍatuhā fī ʿAṣr Salāṭīn al-Mamālīk, Cairo,1976 .

– النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 773هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: بخيت مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

Al-Nwayrī, Nihāyat al- ʾArab fī Funūn al-ʾAdab, ed. B. M. Fawwāz, and H. K. Fawwāz, Beirut n.d.

– هالة نواف يوسف الرفاعي، السجون في مصر في العصر المملوكي (648 – 923 هـ / 1250- 1517 م)، الجامعة الأردنية، 2008 م.

H. N. Y. al-Refāʿī, al-Sujūn fī Miṣr fī al-ʿAṣr al-Mamlūkī (648 – 923 H / 1517 -1250 AD) Jordanian Uni. 2008.

– الهام الدجائي، السلطان الظاهر برقوق وتأسيس دولة المماليك الجراكسة في مصر، مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يناير، 2007م. ص 267 – 294.

E. Al-Dgāʾī, "Al-Sulṭān al-Ẓāher Barḳūḳ wa-Taʾsīs Dawlet al-Mamālīk al-jarākisah fī Miṣr," *The Journal of al-Tārīkẖ wa-l-Mostaḳbal, Faculty of Arts, Minea Univ*., (Jan 2007), 267-294.

ثالثا المراجع الأجنبية:

- A. Levanoni, "The Mamluk Conception of the Sultanate," *International Journal of Middle East Studies* 26/3 (1994), 373- 392.

- D. Nicolle, *The Mamluks, 1250 – 1517*, London, 1993 .

- H. al-Harthyī, "The Patronage of Al-Naṣer Moḥamad b. Qalawun," 1310 – 1341," *Mamluk Studies* 4 (2000), 219-244.